

نفوذ المغول في آسيا الصغرى

(٦٤١ - ٧٣٦ هـ / ١٢٤٣ - ١٣٣٥ م)

[١]

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فعندما وجه سلطان المغول أوكتاي بن جنكيزخان (٦٢٤-
٦٤٦ هـ / ١٢٢٧-١٢٤٨ م) جيشه ناحية غرب آسيا لتأكيد السيطرة
المغولية على البلاد الواقعة في هذه الجهات ، أمضى جيشه هناك
نحو عشر سنوات (٦٢٩-٦٣٩ هـ / ١٢٣١-١٢٤١ م) تمكن خلالها من
إحكام سيطرته على بلاد أذربيجان وإرمينية ، وأضحت كل بلاد
فارس في قبضة أيديهم ، وأذعن سكانها لطاعة المغول .

وعلى الرغم مما أثاره المغول من الخوف والرعب في نفوس
المسلمين ، فإن ذلك لم يؤدي إلى اتحاد القوى الإسلامية ضدهم ، بل
انغمس بعض الحكام المسلمين في منازعاتهم الداخلية وسهلوا بذلك
من مهمة عساكر المغول .

ولما أطل الخطر المغولي برأسه من ناحية الشرق عند منتصف
القرن السابع الهجري تقريباً (الثالث عشر الميلادي) كانت آسيا

الدكتور
علي بن
صالح
الحميد*

* بكالوريوس في
التاريخ من جامعة
الإمام محمد بن
سعود الإسلامية-
كلية العلوم
العربية
والاجتماعية
بالقصيم عام
١٤٠٢هـ .
- ماجستير في
التاريخ الإسلامي
من الجامعة
نفسها بالرياض
عام ١٤٠٦ هـ .
- دكتوراه من
الجامعة نفسها
عام ١٤١٣ هـ .
- يعمل الآن أستاذاً
مشاركاً بقسم
التاريخ بكلية
العلوم العربية
والاجتماعية
بالقصيم .

الدرعية
ربيع الأول ١٤٢٤ هـ / مايو ٢٠٠٣ م
جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ / أغسطس ٢٠٠٣ م

السنة السادسة
العددان: الحادي والعشرون والثاني والعشرون

الصغرى خاضعة لسيطرة الدولة السلجوقية التي أسسها الأمير سليمان بن قتلмыш سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، وهي التي تعرف بدولة (سلاجقة الروم أو سلاجقة آسيا الصغرى) وكانت عاصمتها في بادئ الأمر مدينة نيقية .

وتعاقب على عرش هذه الدولة سبعة عشر سلطاناً ، حكم بعضهم في قونية بعد سقوط العاصمة الأولى نيقية بيد الصليبيين ، وحكم بعضهم الآخر في سيواس ، وكان أحد هؤلاء السلاطين قد قسّم بلاده خلال حياته بين أولاده الأحد عشر ، فارتكب بذلك سياسة خاطئة كانت سبباً في تفكك وحدتها .

وعلى الرغم من اقتراب الخطر المغولي ، فقد كانت هذه الدولة منغمسة هي الأخرى في حروب ضارية مع جيرانها ، ليس هذا فحسب ، بل كانت تخفي وراء واجهتها القوية ما كان ينخر في داخلها من عوامل الضعف والانقسام .

ومثلما كان دور سلاجقة الأناضول ضعيفاً في صد الخطر الصليبي ، على الرغم من إشرافهم على طرق مواصلاته البرية ، كذلك كان موقفهم ضعيفاً في مواجهة الخطر المغولي وذلك بسبب انغماسهم في منازعة بعضهم بعضاً ، ومساهمتهم في الصراع الإقليمي مع الأمراء المجاورين لهم .

ولما تعرضت بلاد السلاجقة لغارة المغول الكبرى سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م ونتج عنها هزيمة ساحقة للجيش السلجوقي ، كانت هذه الصدمة إيذاناً ببداية نفوذ المغول ونهاية الدولة السلجوقية بآسيا الصغرى ، حيث يعد ذلك التاريخ بداية لعملية طويلة الأمد حرص خلالها المغول على أن يزيّدوا من سيطرتهم ، بينما اشتد ضعف ماتبقى من الدولة السلجوقية فضاع استقلالها منذ ذلك الحين وصارت تحت وطأة أداء الخراج والتبعية للسيادة المغولية ، وهو ما أتاح لهؤلاء فرصة التوسع ومد نفوذهم حتى بلغ حدود الإمبراطورية البيزنطية .

والحقيقة أن سيطرة المغول على آسيا الصغرى لم يترتب عليها انهيار دولة السلاجقة فحسب ، بل كانت لها نتائج سياسية أخرى منها : ظهور بعض الإمارات التركية المستقلة التي أسسها أمراء وقواد كانوا - أساساً - تابعين للدولة السلجوقية، ويقيمون في نواح متفرقة داخل تلك البلاد .

وفي هذه الدراسة سوف نبدأ إن شاء الله تعالى بإعطاء تعريف مختصر بدولة سلاجقة آسيا الصغرى ، وكذلك دولة المغول مع التركيز على الدولة الإيلخانية بفارس التي انتقلت إليها السيادة الكاملة على آسيا الصغرى ولاسيما بعد سقوط العاصمة العباسية بغداد بيد مؤسس الدولة الإيلخانية هولاكو خان سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .

ثم نحاول التعرف إلى المدى الذي بلغه نفوذ المغول في آسيا الصغرى ، وماهو موقف سلاطين السلاجقة من السيطرة المغولية ٩ . والأسلوب الذي انتهجه إيلخانات المغول في الحفاظ على سيادتهم داخل تلك المنطقة على الرغم من أنهم لم يباشروا الحكم بأنفسهم إنما دأبوا على تعيين ولاية من جانبهم لإدارة دفة الحكم المغولي هناك . وكيف أدى نفوذ المغول إلى إضعاف الحكم السلجوقي ومن ثم انهيار دولتهم في تلك البلاد ٩ .

كذلك سنلقي الضوء على مراحل تدهور نفوذ المغول ثم زواله بصفة نهائية في تلك البلاد ، ثم نعرض أبرز النتائج السياسية التي تمخضت عن هذه الأحداث والتي في طليعتها قيام الإمارات التركية المستقلة في غرب آسيا الصغرى وشمالها وجنوبها بسبب تفكك دولة السلاجقة وانهيارها ، وتراخي قبضة المغول عليها .

وأود أن أشير إلى أنني أفدت في أثناء تعريفي ببعض المدن الواقعة في آسيا الصغرى من خريطة حديثة لتركيا عنوانها :

Turkiye karayollari Haritasi Road Map Of Turkey .

نهيد :

قبل أن نتحدث عن نفوذ المغول في آسيا الصغرى يجدر بنا أن نعطي تعريفاً مختصراً بطرفي موضوع الدراسة وهما دولتا (السلاجقة والمغول) على اعتبار أن الدولة الأولى كانت تحكم أجزاءً كثيرة من منطقة آسيا الصغرى في أثناء هجوم المغول عليها وطوال مدة نفوذهم في تلك البلاد .

(١) دولة سلاجقة آسيا الصغرى (٤٧٠-٧٠٤هـ / ١٠٧٧-١٣٠٤م) :

مهدت معركة منازجرد^(١) التي جرت بين المسلمين والبيزنطيين سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م الطريق أمام السلاجقة الأتراك لغزو آسيا الصغرى حيث توغل الأمير سليمان بن قتلمش^(٢) بالجيش الذي كان تحت قيادته في هذه المنطقة ، واستولى على الجزء الأوسط منها ، وأسس دولة السلاجقة سنة ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م ، واختار مدينة نيقية^(٣) لتكون أول عاصمة لهذه الدولة في آسيا الصغرى^(٤).

(١) منازجرد : بلدة بين خلاط وبلاد الروم تقع على نهر ارسناس إلى الشمال من بحيرة وان ، وذكرها البعض باسم (ملاذكرد) وذكرها البعض الآخر باسم (منازكرد) وذكرها آخرون باسم (ملازجرد) . (ياقوت الحموي : معجم البلدان - بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ٥ / ٢٠٢) : لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية : ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد - ط ٢ - بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ص ١٤٨ ، ١٨٠ . ولمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة انظر : فايز نجيب إسكندر : موقعة ملاذكرد وصدائها في القسطنطينية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧م .

(٢) سليمان بن قتلمش بن أرسلان بن سلجوق بن دقاق . لقي مصرعه قرب حلب في الحرب التي جرت بينه وبين سلاجقة الشام (ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق - القاهرة : مكتبة المتنبّي ، ص ١١٨-١١٩) ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق إحسان عباس - بيروت : دار صادر (٥ / ٧١) .

(٣) نيقية : من أعمال إستانبول على البر الشرقي ، وتعرف باسم يزنيك أو ازنيق (ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٣٣٣) ؛ (ابن بطوطة : رحلته (تحفة النظار) : تحقيق محمد عبد المنعم العريان - ط ١ - بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣١٦) ؛ (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٩٠) .

(٤) تامارا راييس : السلاجقة تاريخهم وحضارتهم : ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداوقوي ، بغداد ١٩٨٦م ، ص ٤٣ .

ومن هذا الموقع المهم أخذ السلاجقة في التوسع على حساب أراضي الدولة البيزنطية، فامتد نفوذهم إلى شواطئ البحر الأسود في الشمال ، وساحل البحر المتوسط في الجنوب ، واستمر السلاجقة في التحرك ناحية الغرب ولم يكن في استطاعة القوات البيزنطية مقاومة التوسع السلجوقي في غرب آسيا الصغرى^(١) .

أدت وفاة الأمير سليمان بن قتلмыш سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م إلى عدم استقرار الأوضاع في منطقة آسيا الصغرى ، فبدأت المنازعات بين أمراء الأتراك للاستيلاء على العرش الخاوي حيث كان ابنه الأمير قليج أرسلان^(٢) محتجزاً في أصفهان^(٣) لدى السلطان السلجوقي ملكشاه^(٤) ، فقام هذا السلطان بتعيين قائدين من جانبه لإدارة شؤون الحكم في آسيا الصغرى ، ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً فقد توفي ملكشاه سنة ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م ، وخلفه ابنه بركيارق^(٥) فبادر هذا السلطان وأفرج عن قليج أرسلان فقصده نيقية وأعلن نفسه سلطاناً لسلاجقة

(١) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية - القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٩٧ .
(٢) قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш ، لقي مصرعه غرقاً في نهر الخابور سنة ٥٠٠هـ (ابن الأثير : الكامل في التاريخ - بيروت دار صادر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ، (١٠ / ٤٣٠) ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ؛ تحقيق ودراسة مسفر بن سالم الغامدي ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م (٢ / ٤٨١) .

(٣) أصفهان: تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إقليم الجبال (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٢٣٨).
(٤) أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، تولى السلطنة السلجوقية في بلاد فارس خلفاً لأبيه سنة ٤٦٥هـ ، توفي في بغداد سنة ٤٨٥هـ ، ودفن في أصفهان (الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ، اعتنى بتصحيحه محمد إقبال - ط ١ - بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ص ٧١) .

(٥) أبو المظفر بركيارق بن ملكشاه ، حكم في العراق وفارس ، توفي سنة ٤٩٨هـ (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٨١ ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، (٢ / ٤٤٧) .

آسيا الصغرى خلفاً لأبيه^(١) .

وكان أحد الأسباب التي أدت إلى تفكك وحدة الحكم السلجوقي في هذه البلاد قيام السلطان عز الدين قليج أرسلان الثاني^(٢) سنة ٥٨٦هـ / ١١٩٠م بتقسيم أملاكه بين أولاده الأحد عشر فارتكب بذلك سياسة خاطئة أسهمت في إذكاء نيران الفتنة بينهم ودخلوا في صراعات طاحنة لم تنته إلا عندما تمكن أحدهم وهو ركن الدين سليمان^(٣) من اعتلاء العرش السلجوقي وأعاد إلى البلاد السلجوقية وحدتها^(٤) .

ولما تولى السلطان علاء الدين كيقباز (٦١٦-٦٣٤هـ / ١٢١٩-١٢٣٦م)^(٥) أحسن تدبير الدولة، وكان شديداً على أصحابه ذا عزم وهيبة عظيمة^(٦) وبينما كان هذا السلطان مشغولاً بحروبه في شمال غرب إيران مع الدولتين الخوارزمية والأيوبية انتهز المغول هذه الفرصة فقاموا بأولى محاولاتهم للاستيلاء على البلاد السلجوقية في آسيا الصغرى^(٧) .

- (١) منجم باشي: جامع الدول، (مخطوط) ورقة ٣٤٨ (ب)؛ دائرة المعارف الإسلامية؛ ترجمة أحمد الشنتاوي وآخرين - بيروت: دار المعرفة، (٣٤/١٢) : تامارا رايس : السلاجقة ، ص ٥٤ .
- (٢) عز الدين قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش ، كان له من البلاد قونية وأقصر وسيواس وملطية وغيرها . حكم تسعاً وعشرين سنة ، حجر عليه ولده قطب الدين في أواخر أيامه ومات في قونية سنة ٥٨٨هـ (ابن الأثير : الكامل ، (١٢ / ٨٧-٨٨) .
- (٣) ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلش بن سلجوق ، مات سنة ٦٠٠هـ (ابن الأثير : الكامل ، (١٢ / ١٩٥) .
- (٤) لين بول (ستانلي): الدول الإسلامية: ترجمة محمد صبيحي فرزات، دمشق ١٩٧٤م (٣١٤/١) .
- (٥) علاء الدين كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان، توفي سنة ٦٣٤هـ (الصفدي: الوافي بالوفيات، فرانز شتايز شتوتكارت ، ألمانيا ، فسادن ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، (٣٨٣/٢٤) ؛ ابن دقماق: نزهة الأنام في تاريخ الإسلام: تحقيق سمير طيارة - ط ١ - بيروت ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٨٦ .
- (٦) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول - ط ٢ - (من دون تاريخ ومكان الطبع) ، ص ٢٣٣ .
- (٧) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي : تحقيق حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر العربي - القاهرة : ١٩٥٣م ، ص ٣٧٣ ؛ ابن الأثير : الكامل ، (١٢ / ٤٩٠) ؛ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة ، ص ١٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، مكتبة المتنبى - القاهرة : (١٥٤/٣) .

وبدأت دولة السلاجقة في هذه المنطقة تفقد استقلالها بصورة تدريجية في عهد السلطان غياث الدين كيخسرو (٦٣٤-٦٤٤هـ / ١٢٣٦-١٢٤٦م)^(١) الذي تزامن جلوسه على العرش مع بدء المغول بتكثيف غاراتهم على البلاد السلجوقية . وكان السلطان غياث الدين كيخسرو قد توفي سنة ٦٤٤هـ، تاركاً وراءه ثلاثة أبناء فتولى أكبرهم عزالدين كيكاوس^(٢) أمر السلطنة خلفاً لأبيه^(٣) .

ولكن هذا الأمر لم يدم للسلطان عزالدين طويلاً إذ مالبث أن اشترك معه أخواه ركن الدين قليج أرسلان^(٤) وعلاء الدين كيقيباز^(٥) في الحكم سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م، مما يعكس التنافس الشديد القائم بين أفراد هذه الأسرة من أجل الظفر بمنصب السلطنة السلجوقية في آسيا الصغرى على الرغم من أنها مازالت خاضعة للسيادة المغولية . ظل هؤلاء الإخوة على هذه الحال قرابة ثماني سنوات حتى انفرد أحدهم وهو

(١) السلطان غياث الدين كيخسرو بن كيقيباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان ابن قتلмыш بن أرسلان بن سلجوق (أبو الفداء : المختصر ، (٢ / ١٥٨) .
(٢) عزالدين كيكاوس بن غياث الدين كيخسرو بن قليج أرسلان . توفي سنة ٦٧٨هـ (الصفدي : الوافي بالوفيات ، (٢٤ / ٣٨٤) .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ : القرماني : أخبار الدول وآثار الأول : تحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد - ط ١ - بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، (٢ / ٥١٦) .

(٤) ركن الدين قليج أرسلان (الرابع) بن كيخسرو بن كيقيباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلмыш بن أرسلان بن سلجوق . (اليونيني : ذيل مرآة الزمان - ط ٢ - القاهرة : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، (٢ / ٤٠٣) : أبو الفداء : المختصر ، (٤ / ٥) ويؤخذ عليهما أنهما ذكرا بأن وفاته كانت سنة ٦٦٦هـ والأرجح حسب رواية ابن البيبي المعاصر لركن الدين أن وفاته كانت سنة ٦٦٤هـ (أخبار سلاجقة الروم ، «مختصر سلجوق نامه» : ترجمة محمد السعيد جمال الدين - ط ١ - الدوحة : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، ص ٣٦٧) .

(٥) علاء الدين كيقيباز (الثاني) أخو السلطان السابق ركن الدين ، مات وهو في طريقه إلى بلاط المغول سنة ٦٥٢هـ (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٤ : الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة : تحقيق زبيدة عطا ، (من دون مكان وتاريخ الطبع) ، (٩ / ٤٨) .

عزالدين كيكأوس سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م بالحكم السلجوقي في هذه البلاد . وظل مستبداً بالحكم نحو ثلاث سنوات ثم ظهر عليه أخوه ركن الدين قليج أرسلان سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ، وانتزع السلطنة من أخيه حتى لقي مصرعه سنة ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م ، ثم خلفه ابنه غياث الدين كيخسرو^(١) مع صغر سنه وذلك بتأييد من المغول وحكم تحت الوصاية، وفي هذه الأثناء قرر المغول تقسيم ممالك السلاجقة في آسيا الصغرى بينه وبين غياث الدين مسعود الثاني^(٢)، ولكن كيخسرو عارض هذا الإجراء بشدة فتم التخلص منه^(٣) وأسند الحكم السلجوقي إلى غياث الدين مسعود، وجلس على العرش في قيصرية في ربيع الأول سنة ٦٨٢هـ / حزيران ١٢٨٣م، وبقي حتى سنة ٦٩٧هـ / ١٢٩٧م، حيث خلفه ابن أخيه علاء الدين كيقباز الثالث^(٤) الذي شهدت بداية فترة

(١) السلطان غياث الدين كيخسرو الثالث بن السلطان ركن الدين قليج أرسلان الرابع - الذي سبق ذكره - أقامه معين الدين برواندة بعد مقتل أبيه وكان عمره أربع سنين ، وقتله المغول سنة ٦٨٢هـ (أبو الفداء : المختصر ، (٤ / ٥ ، ١٧) ؛ (النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ؛ تحقيق سعيد عاشور ، مصر ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، (٢٧ / ١١٢ - ١١٣) .

(٢) غياث الدين مسعود الثاني بن كيكأوس بن كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش، مات سنة ٧٠٤هـ (أبو الفداء؛ المختصر، (٤/١٧)؛ (ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر - ط ١ - بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، (٥/٢٠١) .

(٣) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة - ط ١ - الكويت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ص ٩٢ .

(٤) علاء الدين كيقباز الثالث بن فرامرز بن كيكأوس الثاني بن كيخسرو بن كيقباز بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق . (رشيد الدين : جامع التواريخ ، «تاريخ غازان» ص ١٥٦) ؛ (منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٦٣ ، (أ) . تولى الحكم السلجوقي عدة مرات حيث كان المغول يولونه ثم يعزلونه وذلك بدءاً من سنة ٦٨٣هـ حتى وفاته سنة ٧٠١هـ (محمد طقوش : تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى - ط ١ - بيروت ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٦ ؛ وفي رواية أخرى أنه مات سنة ٧٠٧هـ (أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية قتالوغي ، قسطنطينية ، ١٢٣١هـ (القسم الرابع) ص ٢٤٣) ؛ (لين بول : الدول الإسلامية ، (١ / ٣١٦) .

حكمه قيام بعض الدول والإمارات التركية في آسيا الصغرى التي أعلنت استقلالها عن السيطرة السلجوقية، وكان من أهمها الدولة العثمانية، وفي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٣م عُزل كيقباز الثالث عن الحكم، وأعيد غياث الدين مسعود الثاني مرة ثانية، ولكنه لم يعمر بعد عودته طويلاً إذ توفي سنة ٧٠٤هـ/ ١٣٠٤م، وبوفاته انقرضت دولة سلاجقة آسيا الصغرى بعد حكم دام قرابة مئتين وأربع وثلاثين سنة^(١).

٢ - المغول :

ظهر المغول في هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي التي تمتد في أواسط آسيا جنوب سبيريا وشمال التبت وغرب منشوريا وشرق تركستان. وكانوا يتألفون من مجموعة قبائل مستقلة بعضها عن بعض، وخاضت فيما بينها حروباً طاحنة، وينتمي جنكيزخان (٦٠٣-٦٢٤هـ/ ١٢٠٦-١٢٢٧م)^(٢) مؤسس إمبراطورية المغول إلى طائفة صغيرة من هذه القبائل اسمها (قيات)^(٣).

وقام جنكيزخان قبيل وفاته سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م بتقسيم بلاده بين أبنائه، وجعل ابنه الثالث أوكتاي^(٤) ولياً للعهد، ثم جرى انتخابه ملكاً لدولة المغول بعد وفاة

(١) الآقسرائي : مسامرة الأخبار ومسامرة الأخيار، باهتمام وتصحيح عثمان توران، أنقرة ١٩٤٣م، ص ٢٩٤؛ منجم باشي : جامع التواريخ، مخطوط، ورقة ٣٦٣، (ب).

(٢) اسمه تموجين بن بسوكاي بهادر بن برتان بهادر، ولد في منغوليا سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م (السباعي محمد السباعي : عطا ملك الجويني وكتابه جهان كش - القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٦، ١٢٩) : فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ - بيروت، ١٩٨٠م، (١/ ٣٩).

(٣) فؤاد الصياد : المغول، (١/ ٣٠-٣١) : فلاديمير ستوف : حياة جنكيزخان الإدارية والسياسية والعسكرية : ترجمة سعد بن محمد الغامدي - ط ١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٥.

(٤) أوكتاي هو الابن الثالث لجنكيزخان تولى عرش الدولة المغولية سنة ٦٢٦هـ أي بعد مرور سنتين على وفاة والده، مات سنة ٦٣٩هـ. انظر : رشيد الدين : جامع التواريخ، (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي قآن إلى تيمور قآن) : ترجمة فؤاد الصياد - ط ١ - بيروت، ١٩٨٣م، ص (٢٨ - ٦٤).

أبيه . واستقر أوكتاي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م في العاصمة قراقورم^(١) ، واهتم اهتماماً كبيراً بإكمال الفتوحات التي بدأها والده جنكيزخان^(٢) .

وفي عهده بدأت محاولات المغول للسيطرة على آسيا الصغرى وبسط سيطرتهم على الدولة السلجوقية التي كانت تحكم هذه البلاد . وبدأت مظاهر الانقسام في أعقاب وفاة أوكتاي سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م ، فقد حصل فراغ في السلطنة لبضع سنين ، فقامت أرملته بتصريف شؤون الحكم بانتظار عودة ولدها الأكبر كيوك الذي كان ضمن قواد الجيش المغولي في حملته على أوروبا^(٣) .

ولما عاد الأمير كيوك تسلّم مقاليد الحكم سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٦م وبقي حتى وفاته سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م ، ثم انتقل الحكم المغولي في هذه السنة إلى منكوقآن^(٤) وبقي في العرش حتى توفي سنة ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م ، وكان هذا الخاقان قد أوفد أخاه هولاكوخان^(٥)

(١) قَراقورم : ذكرها أبو الفداء (قَراقوْم) ، وسماها ابن بطوطة (قَراقُرم) معناها بالتركية الرمل الأسود ، كانت قاعدة التتار ، وتقع في أقصى بلاد الترك الشرقية (تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠م ، ص ٥٠٤ - ٥٠٥) : (رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار) ، ص ٢٨٣) .

(٢) رشيد الدين الهمذاني : جامع التواريخ : ترجمة فؤاد الصياد ، ص ٥٩ : فامبري : تاريخ بخارى : ترجمة أحمد الساداتي - القاهرة : ١٩٨٧م ، ص ١٦١ - ١٦٣) : السيد الباز العريني : المغول - ط ١ - بيروت . ١٩٨٦م ، ص ١٦١ .

(٣) السيد الباز العريني : المغول ، ص ١٨٨ : القزاز : الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، النجف ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م ص ٤٤١ .

(٤) منكوقا آن بن تولوي خان بن جنكيزخان (رشيد الدين : جامع التواريخ : ترجمة فؤاد الصياد ، انظر : ص ١٩٤ وما بعدها) .

(٥) هولاكو خان بن تولوي خان بن جنكيزخان ، توفي مريضاً سنة ٦٦٣هـ/ ١٢٦٥م ، وكان عمره ثماني وأربعين سنة ، دُفن في جبل «شاهو» بإيران . (رشيد الدين : جامع التواريخ : ترجمة محمد صادق نشأت ومحمد موسى هنداوي وفؤاد الصياد - مصر : دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٠م (٢ / ج ١ / ٢١٩ ، ٢٤١) .

للسيطرة على بلاد فارس (إيران حالياً) ، وتمكن سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م من إقامة دولة مغولية مستقلة في هذه البلاد عُرِفَت بالدولة الإيلخانية^(١) . وعلى الرغم من أن هولاكو كان مستقلاً في حكمها فإنه من الناحية النظرية كان مجرد نائب عن أخيه منكوقاآن صاحب السيادة الفعلية على جميع بلاد المغول^(٢) .

واستطاع هولاكو وخلفاؤه حكام الدولة الإيلخانية بفارس مد نفوذهم إلى العراق وبلاد الجزيرة الفراتية وآسيا الصغرى وشمال غرب إيران وأجزاء من بلاد الشام ، ولم يطل حكم هذه السلالة الإيلخانية أكثر من قرن من الزمان ، فتعاقب على عرش تلك الدولة عدد منهم ، وأدى الصراع على السلطة بينهم إلى التعجيل بانتهاء دولتهم ، وقد ظهر ذلك واضحاً بعد وفاة الإيلخان الثاني آباقا بن هولاكو^(٣) سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٢م ، وسوف نذكر أسماء بقية إيلخانات هذه الدولة ، ونتطرق إلى دور كل واحد منهم في ثلثيا حديثنا عن نفوذهم في آسيا الصغرى عندما آلت إليهم السيطرة عليها وذلك حتى نهاية عهد الإيلخان أبي سعيد بهادر خان (٧١٦ - ٧٣٦هـ / ١٣١٦ - ١٣٣٥م)^(٤) الذي يُعدّ آخر ملوك الدولة الإيلخانية بفارس فقد اتجهت

(١) رشيد الدين : جامع التواريخ ؛ ترجمة محمد صادق وآخرين ، (م ٢ / ج ١ / ٢٥٦) ؛ شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ؛ ترجمة خالد أسعد عيسى - ط ١ - دمشق ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٥٧ .

(٢) القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ٤٤٢ .

(٣) آباقاخان بن هولاكو خان بن تولوي خان بن جنكيزخان ، ولد سنة ٦٣١هـ / ١٢٣٤م ، وجلس على العرش بعد وفاة والده سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م ، وأمضى في الحكم نحو سبعة عشر عاماً ، توفي بهمدان سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٢م (رشيد الدين : جامع التواريخ ؛ ترجمة محمد صادق وآخرين ، (٢ / ٢ / ٤ ، ٨٥) .

(٤) أبو سعيد بن خدابنده بن أرغون بن آباقا بن هولاكو ، صاحب الشرق ، مات سنة ٧٣٦هـ بعد حكم دام عشرين سنة ، ودفن بالسلطانية ، وكان عمره بضعا وثلاثين سنة (ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، النجف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م ، (٢ / ٤٤٨) .

هذه الدولة بعد موته المفاجئ بسرعة نحو الانهيار إذ لم يكن لأبي سعيد أولاد ذكور يخلفونه في منصبه فتجدد الصراع بين عدد من الأمراء . وبسبب ذلك فَقَدَ المغول نفوذهم في آسيا الصغرى عندما استغل الفرصة أحد ولاتهم هناك واستولى على البلاد التي كانت خاضعة لسيطرتهم^(١) .

أولاً : غارات المغول المبكرة على آسيا الصغرى :

لما أحكم المغول قبضتهم على بلاد السلطان جلال الدين خوارزمشاه^(٢) في شمال غرب بلاد فارس عقب مقتله سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م^(٣) تسلمت فرقة عسكرية من الجيش المغولي يقودها «جرماغون نوين»^(٤) سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م إلى نواحي سيواس^(٥)

(١) البلديسي : شرفنامه : ترجمة محمد عوني - القاهرة ، ١٩٦٢م ، (٢ / ٣٤ - ٣٥) ؛ عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام : ترجمة محمد علاء الدين منصور - القاهرة ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٤٩٦ ؛ لين بول : الدول الإسلامية ، (٢ / ٥١٦ - ٥١٧) .

(٢) السلطان جلال الدين خوارزمشاه منكبرتي بن خوارزمشاه علاء الدين محمد . (النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي: أبو الفداء: المختصر ، (٣ / ١٤٧ - ١٥١) :

الذهبي: العبر في خبر من غبر - بيروت : دار الكتب العلمية، من دون تاريخ الطبع ، (٣/ ٢٠٢) .
(٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - بيروت ، ١٤٠٧هـ /

١٩٨٧م ، ص ١٩ ؛ ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص ١٨ ؛ ابن دقماق : نزهة الأنام ، ص ٥٠) .
(٤) جرماغون نوين : أحد كبار قواد المغول . وكان ملك المغول «أوكتاي» قد كلفه بتعقب السلطان

جلال الدين خوارزمشاه فلما قُتِلَ هذا السلطان ، لبث جرماغون بالمنطقة وشن عدة غارات على البلاد المجاورة ، وعُزِلَ عن القيادة سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م . (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٠ ، حاشية (١) . و(نوین) : لقب يطلقه المماليك على كُفَّال (نواب) البلاد الخاضعة لسيطرة المغول (القفقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، مصر (من دون تاريخ) ، (٦ / ٣٣) .

(٥) سيواس: تقع على نهر قزل ايرماق (هلس) ويحدها شمالاً قسطنطيني وطرابزون، وشرقاً أرضروم، وجنوباً حلب وآذنة، وغرباً أنقرة (علي جواد: ممالك عثمانية نك تاريخ وجغرافيا لغاتي، إستانبول ١٣١٣هـ ، لغات جغرافية، قسم أول ، ص٤٦٦: (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٩) .

داخل الأراضي السلجوقية في آسيا الصغرى ، حتى بلغت رباط «ابن راحت»^(١) وأقدم أفرادها على قتل وأسر عددٍ من الناس ، ونهبوا كثيراً من المواشي^(٢). ويبدو أن هدف هذه الغارة هو جس نبض القوات السلجوقية وتعرف مدى قدرتها على مقاومة جيش المغول والدفاع عن الأراضي السلجوقية بدليل أن هذه الفرقة سرعان ما انسحبت بمجرد اطلاعها على تحركات القوات السلجوقية فنهض السلطان علاء الدين كيغباذ للدفاع عن أراضيه ، وأرسل جيشاً بقيادة الأمير كمال الدين كاميار^(٣) إلى سيواس فلما وصلها كانت الفرقة المغولية قد عادت أدراجها ، فاقتفى الجيش السلجوقي أثرها حتى وصل إلى حدود مدينة أرزن الروم^(٤) ، ثم توقف حين بلغه أن الفرقة المغولية عادت إلى سهل «موقان»^(٥) مقر معسكر الجيش المغولي^(٦).

- (١) كان معروفاً بالرباط الأصفهاني ، ثم اشتهر باسم رباط كمال الدين أحمد بن راحت (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٩ ، حاشية (١) .
- (٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٩ .
- (٣) الأمير كمال الدين كاميار أحد قواد الجيش السلجوقي قتل في قلعة كاولة بمدينة قونية سنة ٦٣٥هـ بعد أن سعى فيه أحد الوشاة داخل بلاط السلطان غياث الدين كيخسرو (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٥٨) .
- (٤) أرزن الروم : وتعرف باسم أرضروم وأرزرور وهي إحدى مدن إرمينية ، قرب مدينة خلاط (ياقوت : معجم البلدان ، (١ / ١٥٠) : القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد - بيروت : دار صادر ، ص ٢٢٢ .
- (٥) موقان : أرض واسعة كثيرة المياه والمراعي تمتد من جبل سيلان حتى ساحل بحر قزوين الشرقي ، تقع في إقليم أذربيجان ، غرب مدينة تبريز ، وكانت مشى لإيلخان المغول في غالب السنين (ياقوت : معجم البلدان ، (٥ / ٢٢٥) . (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٤٠١) ؛ (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢٠٩) .
- (٦) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٩ .

ولم يرغب القائد السلجوقي كمال الدين كاميار أن يعود إلى العاصمة السلجوقية قونية دون أن يفعل شيئاً ، فرأى أن يشن غارة على بلاد الكرج^(١) متذرعاً بأن ملكة هذه البلاد «رسودان»^(٢) هي التي قامت بتحريض المغول على مهاجمة البلاد السلجوقية ، وتمكن الجيش السلجوقي في أسبوع واحد من الاستيلاء على عدد من القلاع الكرجية الحصينة^(٣).

ولما سمعت الملكة «رسودان» بما فعله الجيش السلجوقي داخل أراضيها كاتبت القائد كمال الدين كاميار ، واعتذرت منه عن إقدام أمرائها بالسماح للجيش المغولي بالتوغل في البلاد السلجوقية ، وعرضت ابنتها «كرجي خاتون» للزواج من الأمير غياث الدين بن السلطان علاء الدين كيقيباذ ، فقبل عرضها ، وأمر جيشه بالعودة من بلاد الكرج^(٤).

أخذت هجمات المغول تتزايد على أطراف البلاد السلجوقية من جهة الشرق ، وبات من الصعب على السلطان السلجوقي أن يتجاهل هذا الخطر ولاسيما أن المغول صاروا يتعرضون لسكان هذه النواحي فيقومون بأسرهم وسلب كل مامعهم ، ومما زاد الأمور تعقيداً أن الجيش الخوارزمي الذي تشرّد في أطراف البلاد إثر مصرع سلطانه وقائده جلال الدين خوارزمشاه لجأ أفراداه إلى قطع الطرقات على الناس ، فبعث قائده كمال الدين كاميار على رأس جيش كبير للاستيلاء على بلاد

(١) الكُرْجُ : جيل من الناس يدينون بالنصرانية ، كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تقليس (ياقوت : معجم البلدان ، (٤ / ٤٤٦) .

(٢) رسودان بنت تامار (النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٢٨٧) .

(٣) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٠ .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢١-٢٢٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ١٠٦) .

إرمينية^(١) ، وضبطها بعد أن خربها المغول ، وأعادها إلى السيادة السلجوقية^(٢) .

وكان السلطان يهدف من وراء هذا الإجراء إلى حماية أطراف بلاده الشرقية من الغارات المفاجئة التي يقوم بها المغول والخوارزميون بين الحين والآخر على تلك المناطق ، ولقي الجيش السلجوقي ترحيباً كبيراً من أهل خلاط^(٣) حتى أنهم وافقوا على الخضوع للسلطان السلجوقي وإقامة الخطبة باسمه^(٤) .

ولما أصبحت هذه المدينة تابعة للسلاجقة سعى السلطان علاء الدين كيقيباذ إلى احتواء أمراء الجيش الخوارزمي في هذه الجهات ، وإدخالهم تحت مظلته ، فأرسل إليهم كبير قواده كمال الدين كاميار ، واستقبل هذا القائد أمراء الجيش الخوارزمي عند مدينة خلاط ، وجرى الاتفاق بين الجانبين على أن يمنحهم السلطان مدينة أرزن الروم لتكون مقراً لهم يقيمون فيه ، وبموجب هذا الاتفاق بدأت جموع الخوارزميين بالتوافد على هذه المدينة ، ولما كانوا في طريقهم إليها تعرضوا لهجمة شرسة من قوات المغول فقتل عدد كبير منهم ، فانطلق المغول عقب ذلك إلى خلاط التي كانت - كما أشرنا - تحت السيطرة السلجوقية فحاصروها بعض الوقت، ولكنهم مالبثوا أن انسحبوا عنها تاركين نيران معسكرهم مشتعلة^(٥) .

وكان المغول قد فعلوا ذلك محاولة منهم لايهام السلاجقة والخوارزميين بأنهم لا يزالون يقيمون في تلك المدينة ، وقد ترتب على هذه الغارة المغولية انسحاب

(١) إرمينية : بلاد واسعة ، وهي قسمان : كبرى وصغرى ، فالصغرى تقليس ونواحيها ، والكبرى خلاط ونواحيها (ياقوت : معجم البلدان ، (١ / ١٦٠) .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٣ .

(٣) خلاط : كانت عاصمة إرمينية الوسطى ، (ياقوت ، (٢ / ٣٨٠) .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٣ .

(٥) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٢٧ .

الحامية السلجوقية من خلاط مؤقتاً خوفاً من أن يحاصروهم المغول بها الذين كانوا قد انهمكوا حينذاك في تثبيت سلطانهم على الشمال الغربي من بلاد فارس^(١).

كما ترتب على هذا الهجوم اتخاذ مدينة أرزن الروم مركزاً لتجمع الخوارزميين في آسيا الصغرى كافة تمهيداً لنقلهم إلى العاصمة السلجوقية^(٢).

وفي ربيع سنة ٦٢٣هـ / ١٢٣٥م وصلت إلى البلاط السلجوقي في قيصرية^(٣) سفارة من خاقان المغول أوكتاي حملت منه كتاباً إلى السلطان علاء الدين كيقيباذ ، وكانت هذه السفارة برئاسة عمر القزويني^(٤) ومعه اثنان من خواص أوكتاي ، وكان نص الكتاب «يعلم العاهل العادل السلطان علاء الدين أننا قد انتهجنا منهجاً حسناً في الحكم وسياسة الرعية ، والقادمون والذاهبون عنك راضون ، فلقد سمعنا ورضينا كل الرضا ، وأرسلنا إليك مايعبّر عن رضانا ومودتنا ، وأردنا أن تبقى على الدوام سعيد القلب في ملكك . ولما كان الله تعالى قد جعلنا عظماء وأعزنا ووهب سطح الأرض لقبيلتنا ، ولما كنت أنت تسلك الطريق المرضي ، فقد أصبح واجباً علينا إظهار حالنا لك ، وإطلاعك عن طريق الرسل والمؤتمرين بالأمر ، ونحن إن أظهرنا أحوالنا ، ولم يُسمع لنا كان جزاء من لا يسمعون أو يلوون رؤوسهم أن يقتحم جيشنا ولايتهم ، فيقتلهم ويأسر النساء والأطفال ، ويغير على الأموال ويخرب المتاع،

(١) صبري سليم : الأتراك الخوارزميون - القاهرة : ، ١٤١٩هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤٤ .

(٢) منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٥٥ ، (ب) .

(٣) قيصرية : هي مركز أحد السناجق في ولاية أنقرة وتعد من أشهر المدن التجارية في شرق

آسيا الصغرى (علي جواد : ممالك عثمانية ، ص ٦٤٨) .

(٤) شمس الدين عمر القزويني المعروف بسروران ، أحد أعيان قزوين (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٤١) .

وينزل به السوء والضرر ، ولانكون نحن السبب في ذلك . كُتِبَ في سنة «بيجين» ٦٢٢هـ / ١٢٣٥م من مقام بلاط سبزه»^(١) .

ولما كان السلطان علاء الدين كيقباز مشغولاً في ذلك الوقت بمحاربة الأيوبيين ومحاصرة بلادهم ، ويريد أن يتفرغ لقتالهم^(٢) فقد أعلن عن ولائه للمغول وبخاصة بعد أن اطلع على كتاب أوكتاي ، وعبر السلطان عن موقفه هذا في ثانيا كتاب بعثه إلى الخاقان ، فقال أوكتاي لرسول السلطان : «إننا قد سمعنا برزانة عقل علاء الدين وصواب رأيه ، فإذا حضر بنفسه عندنا يرى منا القبول والإكرام» فلما نقل الرسول كلام الإليخان كان له صدى كبير في نفس السلطان وأتباعه^(٣) .

توفي السلطان علاء الدين كيقباز سنة ٦٢٤هـ / ١٢٣٦م وخلفه ابنه غياث الدين كيخسرو الذي حذا حذو أبيه في الخضوع للمغول^(٤) وانشغل بالخوارزمية الذين يعملون تحت إمرته فقبض على أميرهم قيرخان مما أدى إلى هروب أتباعه منه ولجأوا إلى الأيوبيين في حلب . ولما اقترب المغول سنة ٦٢٧هـ / ١٢٣٩م من أطراف آسيا الصغرى جهز السلطان غياث الدين جيشاً أرسله إلى إرمينية فأدى ذلك إلى منع المغول من مهاجمة البلاد السلجوقية^(٥) .

وكان السلطان غياث الدين قد واجه قبيل الغزو المغولي الكبير لآسيا الصغرى

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ : وذكر ابن العبري أن الخاقان أوكتاي بعث إلى السلطان السلجوقي هذا الكتاب سنة ٦٣٠هـ (تاريخ الزمان ، ص ٢٧٩) . ولكننا نرجح رواية ابن البيبي لأنه كان معاصراً لتلك الأحداث .

(٢) القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ٨١ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٩ .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم، ص ٢٤٤ : ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ٥٣ .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

وتحديداً سنة ٦٣٨هـ / ١٢٣٩ - ١٢٤٠م ثورة البابئية التي ظهرت في مدينة كفر سوت^(١) بشمال الشام ، وتزعمها رجل تركماني ادعى النبوة وسمى نفسه (بابا)^(٢) . وكان له مريد اسمه إسحاق يرتدي عباءة المشايخ ، فاستغوى جماعة من العامة . وبث رجاله لنشر مبادئه في أطراف بلاد الشام الشمالية المحاذية لآسيا الصغرى واستغل قادة هذه الحركة فرصة انشغال الجيوش السلجوقية بالحروب ضد القبائل الخوارزمية والتصدي لغزوات المغول في المناطق الشرقية من آسيا الصغرى ، ومانتج عن ذلك من تزايد سخط الطوائف الاجتماعية في تلك البلاد بسبب زيادة الضرائب، وسوء الإدارة داخل الدولة السلجوقية . وقد ازداد خطر هذه الثورة عندما انقضت أتباعها من التركمان على كثير من المدن والقرى السلجوقية وسيطروا عليها ، ووصلوا إلى مدينة أماسية^(٣) والتحق بهم سكان هذه النواحي حتى بلغ أتباع هذه الحركة أكثر من ستة آلاف فارس فحاربوا من خالفهم وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين والنصارى في البلاد التي دخلوا إليها^(٤) .

وعلى الرغم من أن الجيش السلجوقي تمكن من قمع هذه الثورة وقتل زعيمها بالإضافة إلى أربعة آلاف رجل من أتباعه، فإنها حقيقة أربكت السلطان غياث الدين

(١) كفر سوت : من أعمال حلب وهي الآن قرب بهسنا (ياقوت : معجم البلدان ، (٤/٤٦٩) .

(٢) أشار ابن العبري إلى أن هذا التأثير التركماني قد أمر أتباعه بأن يقولوا : «لا إله إلا الله بابا رسول الله» (تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥١) ؛ بينما ذكر ابن دقماق أنهم كانوا يقولون «لا إله إلا الله البابا ولي الله» (نزهة الأنام ، ص ١٣١) .

(٣) أماسية : مدينة في شمال شرق تركيا ، تقع شرق أنقرة وتبعد عنها مسافة ٣٢٦ كم . انظر:

Turkiye karayollari Haritasi Road Map Of Turkey .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥١ ؛ منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٢٥٧ .

كيخسرو وأجبرته على ترك العاصمة السلجوقية واللجوء الى إحدى القلاع المجاورة^(١). ومن المرجح أن يكون المغول وراء قيام هذه الثورة لتمهيد الطريق أمام قواتهم التي يجري إعدادها في ذلك الوقت لغزو آسيا الصغرى ، فقد أصدر خاقان مغول القفجاق^(٢) باتو بن جوشي^(٣) سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م أمراً يقضي بعزل قائد الجيش المغولي المرابط قرب الأراضي السلجوقية في آسيا الصغرى «جرماغون نوين» لإصابته بالشلل وإسناد قيادة الجيش إلى «بايجو نوين»^(٤).

فاختار هذا القائد ثلاثين ألف فارس من قواد المغول المشهورين ، وانطلق بهم صوب أرزن الروم التي كانت تحت سيطرة السلاجقة ، وقد بعث السلطان غياث الدين جيشاً بقيادة سنان الدين ياقوت^(٥) للدفاع عن هذه المدينة ، ولكنها مالبثت أن

-
- (١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥١ ؛ ابن دقماق : نزهة الأنام ، ص ١٢١ ؛ كوبريلي : قيام الدولة العثمانية : ترجمة أحمد السعيد سليمان - القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص ٨٢-٨٣ .
- (٢) القفجاق : ويقال لها (القفقاس) و (القَبَق) جبل متصل بباب الأبواب وبلاد اللان وهو آخر حدود أرمينية ، (ياقوت : معجم البلدان ، (٤ / ٣٠٦) ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ٢١٦) .
- (٣) باتو بن جوشي بن جنكيزخان (٦٢١-٦٥٣هـ / ١٢٢٤-١٢٥٥م) أسس هذا الملك دولة عرفت باسم «ألتون أردو» أي القبيلة الذهبية وسيطرت على منطقة واسعة من شمال آسيا امتدت حتى نهر الفولجا وشملت «كييف» وتعرف أحياناً بدولة المغول الشمالية ، وأصبحت حدودها مجاورة لحدود دولة السلاجقة (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩٩ حاشية (١) ؛ النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٥٦ - ٣٥٧) ؛ (لين بول : الدول الإسلامية ، (٢ / ٥٢٢-٥٢٣) .
- (٤) بايجو قرشي نوين من كبار قواد المغول ، قتله هولاء بعد أن سقاه سمّاً فمات سنة ٦٥٦هـ ، وقيل إنه كان قد أسلم قبل موته ، له ولدان هما سوكناي وأفاك . وأفاك هذا هو والد الأمير سولميش الذي سيرد ذكره في هذا البحث بعد تعيينه أميراً لأمرأ جيش المغول في آسيا الصغرى (النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٨٤) .
- (٥) سنان الدين ياقوت العلاني أحد مماليك السلطان علاء الدين كيقيز (النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٤٩) .

سقطت بيد المغول إثر خيانة نائبها السلجوقي شرف الدين الدويني^(١) وتواطئه معهم بسبب مايكنه من حقد وضمينة لقائد الجيش السلجوقي ، فقد أرسل خفية إلى قائد المغول بايجو يطلب منه أن يعطيه الأمان له ولجندته المحاربين مقابل إنزالهم من البرج الذي أوكلت إليهم مهمة حراسته ، فوافق بايجو على طلبه ، وأعطاه مكتوباً بذلك ، ودخل المغول أرزن الروم ، وقتلوا عدداً كبيراً من أهلها ، وكان من بين القتلى قائد الجيش السلجوقي سنان الدين ياقوت وأحد أبنائه الذي قتله المغول أمام أبيه ، ثم انسحبوا عن المدينة بعد أن أخذوا كثيراً من الغنائم^(٢) .

ثانياً : معركة كوسة داغ (٦٤١ هـ / ١٢٤٣ م) :

نبتت معركة أرزن الروم التي كانت أول معركة يلتقي فيها سلاجقة آسيا الصغرى بالمغول السلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو إلى خطورة الوضع العسكري على حدود بلاده الشرقية وأطماع المغول في هذه النواحي ، فأخذ يستعد لخوض المعركة الحاسمة ضدهم ، وأشار عليه كبار رجال الدولة بتوجيه الدعوة إلى حكام البلاد المجاورة لاطلاعهم على الخطر القادم من الشرق الذي بات يهددهم جميعاً ، وحثهم على توحيد صفوفهم ، ووقوفهم إلى جانبه ضد المغول ، من أجل ذلك بعث السلطان السلجوقي رسولاً إلى الملك الغازي^(٣) نقل إليه اعتذاره عن

(١) شرف الدين الدويني : لم أعثر له على ترجمة في المصادر التي اطلعت عليها .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٠ : النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٤٩) : المقرئزي : السلوك لمعرفة دول الملوك : تحقيق محمد مصطفى زيادة - مصر ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م (١ / ٢ / ٣١١) .

(٣) الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل ، ثالث ملوك الدولة الأيوبية في ولاية ميافارقين بإقليم الجزيرة الفراتية ، مات سنة ٦٥٤هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، (٥ / ٣٣٣ ، ٣٣١) .

الهجوم السلجوقي الذي تعرضت له ولاية ميفارقين^(١) وحمل رسول السلطان إليه مبلغ عشرة آلاف دينار من العملة السلجوقية ومائة ألف درهم ، ومنشوراً بملكية مدينة خلط ، كما أوفد السلطان أحد رجاله وهو صاحب شمس الدين الأصفهاني^(٢) بمائة ألف دينار وآلاف الدراهم لتوزيعها في بلاد الشام وحثهم على الانضمام إليه ، كما بعث السلطان بأموال أخرى هدية إلى ملك الأرمن^(٣) في مدينة سيس^(٤) ودعاه إلى نجدته ولكنه أبى وتقاعد عن مناصرته^(٥) .

لقيت دعوة السلطان صدى طيباً في نفوس ملوك البلاد الإسلامية المجاورة ، فأرسلوا أعداداً كبيرة من المقاتلين لمؤازرة الجيش السلجوقي في معركته المرتقبة ضد جحافل المغول بقيادة بايجو^(٦) وعندئذ تسنى للسلطان أن يجهز جيشاً كثيفاً لم يتجهز أحد مثله بحسب رواية ابن العبري^(٧) .

(١) ميفارقين : كانت أشهر مدينة بديار بكر في إقليم الجزيرة الفراتية (ياقوت : معجم البلدان (٥ / ٢٣٥) ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٤٣ .

(٢) صاحب شمس الدين محمد الأصفهاني ، تولى الوزارة السلجوقية سنة ٦٤٣هـ في عهد السلطان عز الدين كيكافوس بن غياث الدين كيخسرو ، وتزوج بوالدة هذا السلطان ، وقتل في العاصمة قونية سنة ٦٤٦هـ بأيدي منافسيه في البلاط السلجوقي بتدبير من أمراء المغول (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٠٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣) ؛ (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٦ ، ٢٥٧) .

(٣) ذكر ابن العبري أن اسم هذا الملك حاتم (تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٦) . بينما ذكر ابن شداد وأبو الفداء أن اسمه هيثوم بن قنسطنطين ، مات سنة ٦٦٩هـ (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة : تحقيق يحيى زكريا ، دمشق ١٩٩١م ، (٢ / ٣٤٠) ؛ (المختصر ، (٤ / ٦) .

(٤) سيس : ويقال لها سيسية ، كانت من أهم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس (ياقوت : معجم البلدان ، (٣ / ٢٩٧) ؛ ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، (٢ / ١٦٧) .

(٥) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، (٢ / ٣٤٠) .

(٦) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٣ .

(٧) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥١ .

سار السلطان السلجوقي مع هذا الجيش ونرى أنه ارتكب خطأ فادحاً عندما عهد بقيادته إلى الأمير النصراني الكرجي شرواشيتز (shervashidze)^(١)، فضلاً عن أن هذا الجيش كان يضم أجناساً مختلفة من البيزنطيين والفرنجة والكرج والعرب وغيرهم ترافقهم النساء والأطفال - وفقاً لأمر السلطان - والتقى الجيش السلجوقي بالمغول في شهر المحرم من سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣م عند موضع يسمى «كوسة داغ» - أي الجبل الأقرع - يقع على طريق (سيواس - أرزنجان)^(٢) .

وقد قُتل قائد الجيش السلجوقي شرواشيتز في بداية المعركة ، فانهزم الجيش بسرعة مذهلة أصابت أعداءهم المغول بحيرة شديدة حيث لم يقع قتال بين الجانبين يوجب سرعة انهزام الجيش السلجوقي وهو يضم هذه الجموع الغفيرة من المقاتلين الذين سقطت منهم أعداد كبيرة بين قتل وأسير وجريح ، وترك السلاجقة معسكرهم مع خيام نبلائهم الملونة وحتى خيمة السلطان التي تحمل شعاره الشخصي الذي يرمز إلى أسد غاضب ليقع بأيدي جنود المغول ، وهرب السلطان غياث الدين نفسه من أرض المعركة^(٣) ، فأخذ نساءه وأولاده وخزائنه ونقلهم من قيصرية إلى العاصمة قونية واستقر به المقام هناك^(٤) .

(١) شرواشيتز : هو ابن ملكة الكرج (روسودان) وكان السلطان غياث الدين كيخسرو لما أفضت إليه السلطنة عينه قائداً للجيش السلجوقي بعد زواجه من أخته «كرجي خاتون» . وكان هذا القائد نصرانياً ومات في تلك المعركة وهو لم يعتنق الإسلام بعد . (النويري : نهاية الأرب ، ٢٧ / ١٠٦) : تامارا راييس : السلاجقة ، ص ٨٦ .

(٢) أرزنجان : ويطلق عليها العامة اسم (أرزنكان) وتقع شرق آسيا الصغرى على الضفة اليمنى لنهر الفرات (علي جواد : ممالك عثمانية ، ص ٥٤ : لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٥٠) .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول . ص ٢٥٢ . أبو الفداء : المختصر ، (٣ / ١٧١) : تامارا راييس : السلاجقة ، ص ٨٦ .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٩ ، ٢٩٦ : النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ١٠٦) .

ومع انتصار المغول في هذه المعركة فقد رأى قادتهم الثبات في ميدان المعركة وعدم التقدم إلى الأمام لاقتفاء أثر فلول الجيش السلجوقي وذلك خشية أن يكون وراء سرعة انهزامه تكتيك عسكري، أو أنه أعدّ كميناً لهم سوف ينقض عليهم بمجرد تقدمهم إلى الأمام ، إلا أن المغول بعد أن تحققوا من الأمر وتأكد لهم هروب الجيش السلجوقي بعيداً عن أرض المعركة بدأوا في الانتشار والتوغل داخل الأراضي السلجوقية في آسيا الصغرى ، فهاجموا سيواس وملكوها بالأمان ، وافتدى أهلها أنفسهم بأموال باهظة، وأحرقوا ما وجدوا فيها من آلات الحرب وهدموا أسوارها^(١).

ولما دخل المغول سيواس كان قاضي هذه المدينة هو «نجم الدين قير شهري» وكان يقيم في خوارزم^(٢) عند استيلاء المغول عليها ، وسبق أن مثّل بين يدي ملك المغول حينذاك ، فمنحه مرسوماً ملكياً وعملة تذكارية . فخرج القاضي نجم الدين لاستقبال قائد المغول بايجو عند دخوله سيواس حاملاً معه المرسوم والهدايا ، فعرفه بايجو وحين عرض قاضي سيواس الأمر الملكي والعملة المغولية على بايجو قبلهما هذا القائد ، ووضعهما على رأسه اعترافاً بخضوعه وولائه لملك المغول ، ثم عين بايجو هذا القاضي نائباً عنه في سيواس ، وكان هذا إيذاناً بخروجها عن السيطرة السلجوقية^(٣).

وقد اختار المغول في بداية سيطرتهم على آسيا الصغرى سيواس لتكون مقراً لنائبهم في هذه البلاد وذلك بحكم موقعها الإستراتيجي حيث إنها تقع على الطرق

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ : منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٢٥٧ ، (ب).

(٢) خوارزم : أحد أقاليم آسيا الوسطى ، وهو حالياً مقسم بين جمهوريتي أوزبكستان

وتركمانستان (محمود شاكر : تركستان - بيروت : دار الإرشاد ، (من دون تاريخ) ، ص ٨٢) .

(٣) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٩-٢٩٠ : منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٢٥٧ ، (ب).

المؤدية إلى العاصمة المغولية تبريز^(١) وإلى مراكز شرق آسيا الصغرى ، وموانئ البحرين الأبيض والأسود ومختلف نواحي آسيا الصغرى^(٢) .

خرج المغول من سيواس وقصدوا قيصرية وكانت والددة السلطان غياث الدين تقيم في هذه المدينة فلما سمعت بزحف المغول نحوها خرجت منها ولجأت إلى ملك الأرمن ، ولكنه غدر بالسلطان وقبض على والدته ثم قام بتسليمها بعد ذلك إلى المغول . ولم يكتف ملك الأرمن بذلك بل انتهز فرصة هزيمة السلاجقة فأغار على العاصمة السلجوقية ونهب خزائن السلطان بها ، وبعث بها إلى بايجو نون^(٣) .

وكان أكثر قواد وأفراد الجيش السلجوقي الذين انهزموا في معركة كوسة داغ قد انسحبوا إلى قيصرية وتحصنوا بها ، وتقدم المغول بقيادة بايجو نحوها ، فحاصروها وقاموا بقصفها بالمجانيق خمسة عشر يوماً متواصلة ، فأحدث ذلك شقوقاً كبيرة في أسوارها ، ومع ذلك لم تتمكن قوات المغول من دخولها ، وعزم المغول على رفع حصارهم عن قيصرية لوفرة ماغنموه منها ، وأرجأ قائدهم بايجو استيلاءه على المدينة إلى العام القادم ، وحينما كان يهجم بالانسحاب أرسل إليه أحد أمراء قيصرية رسولاً يطلب منه الأمان لنفسه ، فلما تم له ذلك خرج هذا الأمير ليلاً ، وذهب إلى معسكر المغول ووصف لبايجو نقاط ضعف المدينة وقوتها ، وعندئذ تراجع بايجو عن قراره ، وأمر جيشه بالاستعداد للهجوم على قيصرية ، فوضعوا السلالم على البرج الذي تضرر كثيراً جراء قصفه بالمجانيق ، وتسلمت قوة منهم إلى داخل المدينة ، وتمكنت من فتح أبوابها ، فدخل الجيش المغولي بأسره إليها ، وأعمل

(١) تبريز : إحدى مدن أذربيجان ، وكانت عاصمة للدولة الإيلخانية التي أسسها هولاكو في بلاد

فارس ، وتقع شرق بحيرة ارمية (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٩٤ ، ١٩٥) .

(٢) كوبرلي : قيام الدولة العثمانية . ص ٩٥ .

(٣) ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، (٢ / ٣٤٠) .

النهب والقتل فيها وأضرمو النار في سائر بيوتها ، وخرجوا منها حاملين معهم أسراهم ، فلما وصلوا إلى صحراء المشهد قتلوا الرجال منهم ، واقتسموا الذراري والنساء فيما بينهم^(١). ولما عزم المغول على الانسحاب من سيواس وقيصرية قرروا على صاحبيهما أربعمئة ألف دينار سنوياً^(٢).

أصيب أهل ملطية^(٣) التي كانت خاضعة للسلاجقة بالخوف والهلع جراء ما فعله المغول بسيواس وقيصرية ، فلاذ نائبها ومعه جموع غفيرة من أهلها بالفرار إلى حلب ، ولم يكن المغول يقصدون التعرض لهذه المدينة وهم في طريق عودتهم من قيصرية ، ولكنهم صادفوا أهل ملطية الفارين منها عند قرية باجوزة إحدى قرى ملطية فقتلوا الرجال وسبوا النساء والأطفال ، وكان الناس الذين بقوا داخل المدينة أوفر حظاً من أولئك الذين فضلوا الهروب منها . وخلال عودة المغول من هذه الحملة شنوا غارة مفاجئة على مدينة أرزنجان وفرضوا سيطرتهم عليها وقتلوا رجالها وسبوا - كعادتهم - الأطفال ، ونهبوها وخربوا سورها^(٤).

لقد ترتب على دخول المغول إلى آسيا الصغرى وهزيمتهم للسلاجقة في معركة كوسة داغ نتائج بالغة الأهمية : فقد أضعف هذا الهجوم كيان الدولة السلجوقية، وفتح باباً للتفكك السياسي في تلك المنطقة حيث بدأت منذ ذلك الحين

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ .

(٢) ابن دقماق : نزهة الأنام ، ص ١٤٩ : المقرئزي : السلوك ، (ج / ٢ / ٣١٣) .

(٣) ملطية : مدينة في (آسيا الصغرى) متاخمة لبلاد الشام ، وتبعد حالياً عن العاصمة أنقرة مسافة ٦٧٥ كم انظر :

Turkiye karayollari Haritasi Road Map Of Turke

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ .

تظهر فيها إمارات تركية^(١) استقلت عن الحكم السلجوقي . وخضعت آسيا الصغرى للسيادة المغولية ولم يتبق للسلاجقة فيها إلا «سلطة نظرية ونصف استقلال»^(٢) . ولم تتوقف الآثار السلبية للهجوم المغولي عند هذا الحد بل عمَّ الاضطراب أرجاء تلك البلاد ، وهرب الناس من مدنها وقراها وتركوا مزارعهم نهبا للعدو ، وزادت البلبله في أطراف البلاد نتيجة قيام أغنياء السلاجقة بمحاولة إبدال جواهرهم ومقتنياتهم الثمينة بالطعام . بينما لجأ قسم آخر من زعماء الأتراك لغرض المحافظة على أراضيهم إلى تزويج بناتهم لنبلأ المغول ، في حين هرب بعضهم إلى إقليم بافلاجونيا^(٣) وغيره من الأقاليم المجاورة طلباً للنجاة والسلامة^(٤) . ولما تبين للسلطان السلجوقي غياث الدين عجزه عن مقاومة المغول أرسل إليهم وفداً لطلب الصلح والتقى هذا الوفد بالقائد بايجو عند حدود مدينة أرزن الروم ، فرحب بهم ، وأخذ أعضاء الوفد يتحركون مع جيش المغول من موقع إلى آخر حتى وصلوا إلى سهل موقان مقر القيادة العليا للجيش المغولي ، وهناك

(١) اختلفت تقديرات المؤرخين حول عدد هذه الإمارات وأسمائها والمناطق التي ظهرت فيها وهي : (أبناء بروانة ، أبناء صاحب آتا ، أبنا قره سبي ، أبناء صاروخان ، أبناء آيدين ، أبناء منتشا ، أبناء تكة ، أبناء أشرف ، أبناء حميد ، أبناء كرميان ، أبناء دنزلي ، أبناء قرامان ، أبناء جاندار ، إمارة آل عثمان . انظر : ابن بطوطة : رحلته «تحفة النظار» ، ص ٢٩١-٢٤ : لين بول : الدول الإسلامية ، (٢/ ٣٩٧-٤٧٣) : سيد رضوان علي : الإمارات التركية المستقلة في آسيا الصغرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري - الرياض : بحث منشور في مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد السادس ، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٨ - ١٠٠) .

(٢) كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، ص ٥٦ .

(٣) بافلاجونيا : يقع على ساحل البحر الأسود ، واسمه الآن قزل أحمد لي (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٦) .

(٤) تامارا رايس : السلاجقة ، ص ٨٧ .

جرت مفاوضات الصلح بين الجانبين ، فوافق المغول على طلب الصلح الذي عرضه الوفد السلجوقي مقابل خضوع السلطان لهم ، وأن يدفع لهم في كل عام مبلغاً كبيراً من المال^(١).

ولما عاد الوفد السلجوقي إلى العاصمة قونية بعث السلطان غياث الدين أحد خواصه ويدعى شمس الدين محمد الأصفهاني رسولاً من جانبه إلى خاقان المغول أوكتاي لإبلاغه بموافقته على بنود المصالحة التي أبرمت بينهما ، ولتوثيق عرى الصداقة بين الدولتين ، ولكي يضمن السلطان نجاح مهمة رسوله منحه كامل الحرية ليختار من الهدايا ما يراه لائقاً بمقام الخاقان ، وعندما وصل رسول السلطان إلى العاصمة المغولية حظي باستقبال كبير ، وبالع أوكتاي في إكرامه مما يدل على ارتياحه للسياسة التي كان السلطان السلجوقي ينتهجها تجاه الدولة المغولية^(٢).

أصدر الخاقان أوكتاي أمراً بجعل السلطان غياث الدين نائباً عنه في آسيا الصغرى ، وندب إليه رسولاً من جانبه يدعى «سانقسون قرجي» من أجل تسليمه مرسومياً بالنيابة عنه في تلك البلاد . وقد كافأ السلطان رسوله شمس الدين الأصفهاني بعد النجاح الكبير الذي حققه في مهمته لدى الخاقان بأن قلّده الوزارة السلجوقية بالإضافة إلى إمارته على مدينة قيرشهر^(٣) ، وهو أمر لم يتحقق من قبل

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩٣ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٢ ؛ النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٤٨) . وذكر بعض المؤرخين بأن السلطان التزم أن يحمل لهم كل يوم ألف دينار ومملوكاً وجارية وفرساً وكلب صيد (الذهبي : العبر ، (٢٣٩/٣) ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الفكر ، (٥ / ٢٠٩) .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٩٩ .

(٣) قيرشهر : تقع على بعد نحو ثمانين ميلاً غرب قيصريّة بآسيا الصغرى (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٩) .

لأي وزير من وزراء سلاجقة آسيا الصغرى وفقاً لرواية أحد المؤرخين المعاصرين لهذه الدولة^(١).

ولما استقرت الهدنة بين السلطان غياث الدين والمغول ، وانسحب جيش المغول من البلاد السلجوقية ، قرر السلطان محاربة ملك الأرمن لقيامه بخيانتته في معركة كوسة داغ ، فأرسل إليه سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م جيشاً بقيادة وزيره صاحب شمس الدين الأصفهاني ، وحاصر الأرمن في بلدة طرسوس^(٢) ، وكادت هذه المدينة تقع بأيدي السلاجقة ، ولكنها نجت بفعل عدة عوامل منها نشوب الخلاف بين أمراء الجيش السلجوقي ، وتساقط الأمطار بغزارة في ذلك الوقت حتى تعذر على أفراد الجيش الخروج من خيامهم ، وخلال الحصار تلقى صاحب شمس الدين أمراً من السلطان السلجوقي يحثه على أن يعود سريعاً إلى العاصمة قونية ، وانتهى أمر هذه الحملة بأن قَبِلَ صاحب شمس الدين طلب الصلح الذي تقدم به الملك الأرمني بعد أن وافق على إعادة بعض القلاع التي استولى عليها من السلاجقة ، وقام بدفع الخراج المتأخر عليه ، فرفع الجيش السلجوقي الحصار عن طرسوس وانسحب عنها^(٣).

ويبدو أن السلطان غياث الدين كيخسرو لم يتحمل هول الصدمة التي أصابته بعد هزيمته في معركة كوسة داغ فتوفي سريعاً سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م فخلفه ابنه عزالدين كيكافوس الثاني على عرش الدولة السلجوقية في قونية^(٤).

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٠٠ .

(٢) طرسوس: مدينة بتهغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (ياقوت: معجم البلدان، (٢٨/٤).

(٣) ابن شداد: الأعلام الخطيرة ، (٢ / ٢٤٠) : ابن البيبي: أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٤) منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٥٨ ، (أ) .

وفي أيام حكمه أخذ رسل المغول يترددون عليه يدعونه للحضور بنفسه ليكون في خدمة الأميرة توراكيينا خاتون التي تولت بصفة مؤقتة تصريف شؤون الحكم في دولة المغول عقب وفاة زوجها الخاقان أوكتاي وذلك ريثما يعود ابنها الأمير كيوك من حملته العسكرية على شرق أوربا ، ولكن السلطان اعتذر عن الحضور تحت ذريعة أن جيرانه ملوك الدولة البيزنطية والأرمن يتربصون ببلاده وسوف ينقضون عليها حال مغادرته لها ، وكان يسترضي رسل المغول بالهدايا وبذل الأموال ، ويدفعهم من وقت إلى آخر في محاولة منه لكسب الوقت ، وأمام إلحاح هؤلاء الرسل لم يجد السلطان عز الدين بداً من إرسال أخيه ركن الدين قليج أرسلان إلى بلاط المغول ، وفوض تدبيره إلى بهاء الدين الترجمان^(١) وجعله أتابكاً له ، وحضر الأمير ركن الدين قليج أرسلان بالإضافة إلى عدة شخصيات إسلامية من بينهم مندوب عن الخلافة العباسية في بغداد الاجتماع الذي عقده المغول سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م عند منابع نهر أرخون بمنغوليا لاختيار الأمير كيوك^(٢) ملكاً وذلك خلفاً لأبيه^(٣).

ومن المحتمل أن ركن الدين قليج أرسلان انتهاز فرصة وجوده في بلاط المغول فوثق صلاته بزعمائهم حتى حصل على تأييدهم له في تولي السلطنة بدلاً من أخيه الكبير عز الدين إذ إن كيوك خان بادر حينما تولى عرش المغول إلى خلع السلطان

(١) بهاء الدين يوسف بن نوح الأرزنجاني (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢١٣) .

(٢) كيوك خان بن أوكتاي قآن بن جنكيزخان جلس على عرش المغول سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٦م ، توفي بسمرقند سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م . انظر ترجمته في : رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ١٧٥ - ١٨٦ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٦ ؛ رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ١٨١ ؛ السيد الباز العريني : المغول ، ص ١٨٩ .

عزالدين . ومنح آخاه ركن الدين عرش السلطنة السلجوقية في آسيا الصغرى وجعله تحت إدارة نائبه إلجكتاي نوين في تلك البلاد^(١).

وحدد خاقان المغول مقادير الجزية التي يؤديها السلطان ركن الدين إليه في كل عام وتشمل مليوناً ومائتي ألف دينار ، وخمسمائة من الثياب الحريرية الموشاة بالذهب ، وخمسمائة حصان ، وخمسمائة جمل ، وخمسة آلاف رأس من الغنم ، فضلاً عن أنواع ضخمة من الهدايا تعادل في قيمتها هذه المقادير^(٢).

عاد السلطان ركن الدين قليج أرسلان إلى آسيا الصغرى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م وكان بصحبته ألفا فارس من المغول من أجل مساعدته على انتزاع السلطنة من أخيه عز الدين ونقلها إليه وفقاً لقرار كيوك خان^(٣).

وقد حاول شمس الدين الأصفهاني وزير السلطان المخلوع وزوج والدته إغراء بالعصيان على أخيه ركن الدين ، وعدم التنازل له عن الحكم ، وأشار عليه بالخروج من العاصمة قونية ، فلما علم جلال الدين قراطاي^(٤) أتابك عز الدين بما يدبره الوزير السلجوقي أخبر به بهاء الدين الترجمان أتابك ركن الدين ، فأنفذ جماعة من

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧ : رشيد الدين : جامع التواريخ ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢) السيد الباز العريني : المغول ، ص ٢٠٣ : سليم واكيم : إمبراطورية على سهوات الجياد - بيروت ، ص ١١٨ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧ .

(٤) جلال الدين قراطاي الرومي . كان من مماليك السلطان علاء الدين بن غياث الدين كيخسرو ، قُتل في قيصرية سنة ٦٥٢هـ تقريباً بعد أن خدم في الدولة السلجوقية ثمانية عشر عاماً . (ابن البببي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ١١٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٦) : (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٥ و ٢٥٧ ، ٢٦٤) .

أمراء المغول إلى قونية ، وقبضوا على الوزير شمس الدين الأصفهاني وقتلوه ، واجتمع بهاء الدين الترجمان بالأتابك قراطاي واتفقا على عدم تنفيذ قرار كيوك خان لتجنيب البلاد اندلاع حرب حتمية سوف تنشأ بين الأخوين ، وتقسيم البلاد السلجوقية بينهما فتكون قيصرية وسيواس وملطية وأرزنجان وأرزن الروم وغيرها من المدن الشرقية من نصيب السلطان المعلن من جانب المغول ركن الدين قليج أرسلان . وتكون قونية^(١) وأقصرا^(٢) وأنقرة^(٣) وأنطاكية^(٤) وباقي المدن الغربية للسلطان المخلوع عز الدين كيكاوس ، وتضمن الاتفاق ترضية أخيهما الأصغر علاء الدين بإقطاعه بعض الأملاك الخاصة ، وبأن تسك العملة السلجوقية باسم الإخوة الثلاثة حيث كتبوا عليها «السلطين الأعظم عز وركن وعلاء»^(٥).

وفي خضم الصراع على السلطنة السلجوقية بين أبناء كيخسرو حدثت بعض

(١) قونية : مدينة بآسيا الصغرى ، تحيط بها أنقرة من الشمال ، ومن الشرق أنقرة وأذنة ، ومن الغرب ولاية أيدين ، ومن الجنوب ولاية أذنة والبحر المتوسط (علي جواد : ممالك عثمانية ، قسم أول ص ٦٤٠-٦٤٣) . وتقع الآن داخل تركيا وتبعد عن العاصمة أنقرة مسافة ٢٦٠ كم . انظر :

Turkiye karayollari Haritasi Road Map Of Turkey.

(٢) أقصرا : (أقسرا) أي (القصر الأبيض) ، زارها ابن بطوطة سنة ٧٣٣هـ (رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٠٢) .

(٣) أنقرة : عاصمة تركيا الآن ، تقع في وسط آسيا الصغرى يحيط بها من الشمال ولاية قسطنطين ومن الجنوب قونية ، ومن ناحية الشرق سيواس (علي جواد : ممالك عثمانية ، قسم أول ، ص ٣٦) .

(٤) أنطاكية : إحدى المدن الواقعة على الثغور الشامية (البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ؛ تحقيق علي محمد البجاوي - دار إحياء الكتب العربية ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م (١ / ١٢٤ - ١٢٥) .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

التطورات السياسية داخل دولة المغول فقد مات كيوك خان سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م وخلفه منكوقآن^(١) على عرش هذه الدولة^(٢).

وبدأ هذا الخاقان يشعر بعدم الارتياح جراء وجود أخيه الأصغر منه هولالكو إلى جانبه، فقد كان هولالكو معروفاً بشدة بأسه ويتمتع بنفوذ قوي داخل البلاط ولدى عامة الشعب ، وكان وجوده إلى جانبه يسبب له قلقاً متواصلاً ويشكل خطراً عليه ، لكن منكوقآن حرص على ألا يُظهر لأخيه ماييطن له خوفاً من غدره به ، فقرر إبعاده عنه بأن أوكل إليه سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م نيابة بلاد فارس^(٣).

خرج هولالكو مع أسرته على رأس جيش ناحية هذه البلاد ، واستطاع أن يؤسس سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م دولة مستقلة أصبحت تعرف بالدولة الإيلخانية^(٤).

ولما أزعج منكوقآن عن نفسه خطر أخيه ، وجه اهتمامه نحو آسيا الصغرى فطلب من السلطان عزالدين كيكائوس سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٤م أن يأتي إلى بلاطه في العاصمة قراقورم ليعمل في خدمته ، فلبى دعوته وسار إليه ولكنه لما وصل إلى سيواس بلغه أن الأمراء مالوا إلى أخيه ركن الدين قليج أرسلان ويرومون تنصيبه سلطاناً عليهم ، فعاد مسرعاً إلى العاصمة قونية ، وأرسل إلى الخان المغولي أخاه علاء الدين بدلاً منه وحملته كتاباً ذكر فيه أنه قد سيّر أخاه علاء الدين إليه وهو

(١) منكوقآن بن تولوي خان بن جنكيزخان ، مات سنة ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م . له ترجمة في : رشيد الدين : جامع التواريخ : ترجمة فؤاد الصياد ، ص ١٩٤ - ٢٢٥ : النوري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٢٤٦) .

(٢) الجويني : تاريخ فاتح العالم «جهانكشاي» : ترجمة محمد التونجي - حلب ، ١٩٨٥م ، (٢ / ٢٠٣) .

(٣) سليم واكيم : إمبراطورية على سهوات الجياد ، ص ١٢٥ .

(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ ، (م ٢ / ج ١ / ٢٥٦) .

سلطان مثله واعتذر عز الدين عن المجيء إليه متذرعاً بأن أتاكبه ومدير أمره جلال الدين قراطاي قد مات ، وظهر له أعداء يريدون إزاحته عن الحكم ، وتعهد للخاقان بأنه سوف يأتي إليه إذا تمكن من التغلب على خصومه^(١).

ويبدو أن السلطان عز الدين اعتذر عن الحضور إلى بلاط الخاقان لكي يتفرغ لتأديب أخيه ركن الدين ، فقد نشب القتال بينهما في قونية سنة ٦٥٢هـ/١٢٥٤م ، وألحق السلطان عز الدين الهزيمة بأخيه ، وأسره ، وسجنه بقلعة دولو^(٢).

وفي هذه المرحلة من الصراع الداخلي بين أبناء البيت السلجوقي انتقل التباذ والتخاصم من الإخوة إلى حاشيتهم التي كانت سبباً في كثير من الفتن والاضطرابات ، ففي هذه الأثناء مات الأمير علاء الدين وهو في طريقه إلى العاصمة المغولية فتفرق موكبه ، وانقسموا إلى فريقين ، بعضهم أسرع إلى الخاقان ليخبروه بوفاة علاء الدين ويدبروا معه مستقبل البلاد وفق رغباتهم الشخصية ، بينما تأخر آخرون لتجهيز جنازة علاء الدين وحمل جثمانه معهم ، وعندما اجتمع الفريقان أمام منكوقآن أصدر مرسوماً يتضمن تقليد عز الدين السلطنة في الدولة السلجوقية على اعتبار أنه أكبر إخوته سناً وأحقهم بها ، وأن يحمل إليه هذا السلطان ما يقرره من المال سنوياً ، مقابل أن يتوقف المغول من الغارة على بلاده والتعرض لرعيته^(٣).

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٤ ؛ الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٤٨) .

(٢) قلعة دولو : شرق مدينة قرا حصار عند جبل أرجاست بآسيا الصغرى (ابن العبري : تاريخ

مختصر الدول ، ص ٢٦٤) ؛ (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٣) .

(٣) الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٤٨-٥٠) .

ثالثاً : معركة خان السلطان (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) :

قبل أن يغادر أصحاب السلطان عز الدين العاصمة المغولية قراقورم حاملين معهم بايظة^(١) الذهب التي نُقِشَ عليها التقليد والتفويض للسلطان جاءت الأخبار من آسيا الصغرى بغير ما يشتهون: ذلك أن عز الدين بعد أن تخلص من منافسه أخيه ركن الدين وألقاه في السجن وانفرد بالسلطنة السلجوقية وصفت له الأمور في قونية، عزم على التخلص من هيمنة المغول ، فعينَ صاحب القاضي عز الدين الرازي^(٢) وزيراً له ، فأبدى هذا الوزير انزعاجه من تردد رسل القائد المغولي «بايجو نوين» وغيره من القادة المغول على آسيا الصغرى ، فضلاً عن أنهم يتقاضون مقابل ذلك أموالاً طائلة تنفق عليهم من خزينة الدولة السلجوقية فاقترح الوزير على سلطانه بأن يعرض هذا الأمر على منكوقاآن لكي يصدر من قبله مرسوم ملكي بمنع تسلط بايجو على مقدرات الدولة السلجوقية ، فلما وصلت هذه الرسالة إلى الخاقان أبدى تعاطفه، وأصدر مرسوماً بمنع رسل بايجو وسائر أمراء المغول من التردد على السلطنة السلجوقية، فلما بلغ بايجو هذا الخبر غضب على السلطان عز الدين، وهدد بالانتقام منه، ومنذ ذلك الحين أخذ مبعوثو القائد بايجو إلى البلاد السلجوقية في التناقص ، وإن جاء بعضهم أحياناً فإنهم لا يجدون ذلك الاهتمام الذي كانوا

(١) البايظة : لوحة من الذهب أو الفضة ، وفي بعض الأحيان من الخشب وذلك حسب رتبة الأشخاص وينقش عليها اسم الله واسم السلطان وعلامة خاصة ، وتهدى إلى الأشخاص الذين يتمتعون بثقة المغول . كما أنها تتضمن أمر الملك لسفرائه (رشيد الدين : جامع التواريخ ، (م ٢ / ج ١ / ٢٤٧ ، حاشية رقم (١) .

(٢) القاضي عز الدين محمد الرازي ، تولى الوزارة السلجوقية في عهد السلطان عز الدين كيكائوس ، وقُتِلَ في معركة خان السلطان التي جرت بين السلاجقة والمغول سنة ٦٥٤هـ (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧) .

يحظون به من قبل، وبذلك تمكن السلطان عز الدين من ضبط الدولة، ونُعِمَتْ البلاد بالاستقرار^(١).

وقد تزامن نشوب هذا الخلاف بين بايجو نوين والسلطان عز الدين مع قيام حركة «الأغاجريين»^(٢) التي ظهرت في صحراء مرعش^(٣) حيث دأب أفرادها على قطع الطرقات واعتراض القوافل، والقيام بشن الغارات على بلاد آسيا الصغرى والشام والأرمين، فتوجه الجيش السلجوقي لقمع هذه الحركة، وفي هذه الأثناء وصل رسول القائد بايجو نوين إلى السلطان عز الدين يطلب منه أن يحدد له مكاناً يُشْتَتَّى فيه داخل آسيا الصغرى لأن مدينة موقان التي اعتاد على قضاء فصل الشتاء بها أخذها هولاء منه وصارت مشتتاً له، فرفض السلطان السلجوقي طلبه^(٤).

ويذكر أحد المؤرخين بأن مماثلة السلطان عز الدين في إرسال الأموال المقررة عليه للمغول كانت سبباً في نشوب الخلاف بينه وبين بايجو نوين^(٥).

وعلى أي حال لقد كان بايجو يبحث عن ذريعة ينتقم بها من السلطان عز الدين، وحين وجدها لم يتوان لحظة واحدة في إعلان الحرب عليه، فوصلت

(١) ابن البيبي: أخبار سلاجقة الروم، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) الأغاجرية: قوم من التركمان كانوا يغيرون على البلاد ويقتلون أهلها ويسبون الذراري، وكان قائدهم اسمه «جوتي بك» وقد تمكن علي بهادر وهو أحد رجال السلطان عز الدين من القبض على هذا القائد وسجنه بقلعة المنشار فأخمد حركتهم وقضى عليهم (ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٧).

(٣) مرعش: مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم (ياقوت: معجم البلدان، ٥/ ١٠٦).

(٤) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٤.

(٥) منجم باشي: جامع الدول، ورقة ٢٥٨، (ب).

مقدمة جيشه إلى أرزنجان مما اضطر عز الدين إلى استدعاء جيشه الذي كان قد ذهب إلى نواحي أبلستين^(١) لقمع ثورة الأغاجريين^(٢).

تساور كبار رجال الدولة السلجوقية بشأن الإجراء الذي ينبغي القيام به للتصدي للحملة المغولية الجديدة ، فاتفقوا أن يبعثوا أحد رجال البلاط السلجوقي لاستقبال بايجو ، والوقوف على أهدافه الحقيقية من هذه الحملة ، في الوقت الذي عكفوا فيه على حشد الجيش السلجوقي في صحراء قونية تأهباً لخوض القتال وحصل انقسام داخل الدولة السلجوقية بين السلطان ورجاله فريق يؤيد قتال بايجو وفريق آخر يدعو إلى استرضائه بالتحف والأموال . وكان لرأي الفريق الأول القدر المعلى في هذا الخلاف^(٣) .

وقع القتال بين الجانبين في رمضان سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م عند موضع يقال له «خان السلطان» بين قونية وأقصرا وألحق المغول هزيمة فادحة بالجيش السلجوقي حيث قُتل عدد كبير من أفرادهم وكان من بينهم الوزير السلجوقي صاحب عز الدين^(٤).

وبعد هزيمة الجيش السلجوقي لاذ السلطان عز الدين بالفرار إلى مدينة

(١) أبلستين : (البستان) إحدى مدن الثغور في بلاد الروم ، تقع شرق مدينة قيصرية ، ويقع إلى الغرب منها الكهف الذي وصفه الله عز وجل في كتابه العزيز . (الهروي : الإشارات إلى معرفة الزيارات : تحقيق جانين سورديل - دمشق ، ١٩٥٣م ، ص ٦٠ : لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٨) .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٣) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٧ : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٤ .

أنطالية^(١) ثم تركها وقصد مدينة لاديق^(٢) وأصر القائد المغولي بايجو على اقتفاء أثره ، فأرسل إليه حفيده «بيسوتاي»^(٣) مع ألف فارس للقبض عليه ، وجرت المراسلات بين بيسوتاي والسلطان عز الدين ، وظل السلطان يتحايل عليه حتى يجد لنفسه مكاناً آمناً يلجأ إليه فأقنعه بالرجوع ، وبذلك تسنى للسلطان عز الدين اللجوء إلى الدولة البيزنطية^(٤).

وعندئذٍ قرر بايجو خلع السلطان عز الدين ، ثم توجه إلى قلعة دولو ، وأخرج أخاه ركن الدين قليج أرسلان من سجنه ، وأتى به سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م إلى قونية ونصبه سلطاناً على الدولة السلجوقية^(٥).

ولما وصلت هذه الأخبار إلى منكوقآن استعاد ماسبق أن منحه السلطان عز الدين على الرغم من محاولة رسل عز الدين الذين كانوا وقتئذٍ في بلاط المغول تسويق عمل صاحبهم للاحتفاظ بحقه ، ولكن محاولتهم لم تتجح أمام المغريات التي عرضها أصحاب ركن الدين على منكوقآن لتفضيل صاحبهم على أخيه السلطان عز الدين والتعهدات التي قطعوها نيابة عنه بحمل الأتاوة وبذل الطاعة ، فقرر منكوقآن سنة

(١) أنطالية : فرضة بلاد قونية ، تقع على شاطئ البحر المتوسط (ياقوت : معجم البلدان ، ٢٧٠/١) : الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار : تحقيق إحسان عباس - بيروت : ١٩٧٥م ، ص ٣٩ .

(٢) لاديق : وتسمى لاديق سوخته أي لاديق المحروقة ، تقع شمال مدينة قونية (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٢) .

(٣) هكذا ورد اسمه في ابن البيبي (أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠) . وذكره رشيد الدين الهمذاني باسم (سونتاي نويان) جامع التواريخ (٢ / ٢ / ١٠ ، ٤١) .

(٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ .

(٥) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٥٠ : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٤ : منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٥٩ ، (أ) .

٦٥٥هـ / ١٢٥٧م العودة إلى فكرة تقسيم البلاد السلجوقية مناصفة بين الأخوين .
 فيصير من نهر سيواس إلى حدود الدولة البيزنطية للسلطان عز الدين ، ومن سيواس
 إلى تخوم أرزن الروم من الجهة الشرقية المتصلة ببلاد المغول لأخيه ركن الدين^(١) .
 شجع قرار منكوقاآن السلطان عز الدين على الرجوع إلى قونية ، فلما وصلها
 وجد أن نائب المغول «بايجو نوين» منحازاً إلى جانب أخيه ركن الدين الذي ما إن علم
 بمجيء أخيه حتى مضى إلى بايجو نوين في مخيّمه ، ولخوف عز الدين من هذا
 النائب وجه أحد مماليكه إلى نواحي ملطية وخرتبرت وأوعز إليه بأن يحشد له
 جمعاً من عساكر الأكراد والتركمان والعرب لمؤازرته في استعادة سلطانه من أخيه
 ركن الدين ، ولما وصل مملوك عز الدين إلى هذه البلاد أرسل إلى اثنين من قواد
 الأكراد في الموصل وهما ابن بلاس^(٢) وابن الشيخ عدي^(٣) فأتياه ، وأقطع ابن بلاس
 ملطية ، بينما أقطع ابن الشيخ عدي خرتبرت ، فأما ابن بلاس فإن أهل ملطية
 لم يقبلوا به نائباً عليهم وذلك لميلهم إلى السلطان ركن الدين . أما ابن الشيخ عدي
 فإنه وصل إلى خرتبرت^(٤) ، لكنه مالبث أن انصرف عنها ليتصل بصاحبه السلطان

(١) ابن البببي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٥٥ : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٥٠/٩) : أبو الفداء :
 المختصر (١٩١/٣)

(٢) شرف الدين أحمد بن بلاس الكردي . من بلد الهكار ، قتله صاحب ميافارقين قرب مدينة
 آمد سنة ٦٥٥هـ (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٦) .

(٣) شرف الدين محمد بن الشيخ عدي الكردي ، من أكراد الموصل ، لقي مصرعه سنة ٦٥٥هـ
 على يد أحد قواد المغول وهو في طريقه من خرتبرت إلى قونية (ابن العبري : تاريخ مختصر
 الدول ، ص ٢٦٧) .

(٤) خرتبرت : وهي مدينة (خربوط الحديثة) وكانت تعرف أيضاً بحصن زياد وتقع بين آمد
 وملطية بأرض إرمينية (ياقوت : معجم البلدان ، (٢/٢٦٤) : (لسترنج : بلدان الخلافة ،
 ص ١٤٩) .

عز الدين في قونية ، ولكن أحد قواد المغول ويدعى أنكورك نوين أدركه في الطريق فقبض عليه وقتله^(١).

ولما بلغ السلطان عز الدين عدم ترحيب أهل ملطية بنائبه ابن بلاس ولَّى عليهم رجلاً صارماً يدعى علي بهادر^(٢) ، فقبل أهل ملطية به خوفاً من سطوته ، وعندئذٍ علم نائب المغول بايجو بما أقدم عليه عز الدين ، فأعطى لجيشه أمراً بالتحرك ناحية البلاد التي في حوزة السلطان عز الدين فبدأ جيشه بأبلستين وقتل من سكانها نحو ستة آلاف رجل ، وأسروا عدداً كبيراً من النساء والأطفال ، وحينما فرغ هذا الجيش من تلك المدينة هاجم ملطية فهرب علي بهادر نائب عز الدين بها وتوجه إلى بلدة كختا^(٣) ، وخرج أهل ملطية لاستقبال جيش بايجو وقدموا له أنواعاً من الهدايا والتحف ، وأخذ منهم نائب المغول البيعة للسلطان ركن الدين، ثم انصرف عنهم ، وقام ركن الدين بتعيين مملوكه فخر الدين إياز^(٤) نائباً عنه في ملطية^(٥).

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٦ .

(٢) علي بهادر : نائب السلطان عز الدين في ملطية ، وكان رجلاً شجاعاً صارماً ، وقام بدور كبير في محاربة الأغاجرية ، وقد لجأ بصحبة السلطان عز الدين إلى الإمبراطورية البيزنطية ، وقُتِل بالقسطنطينية مع أمراء آخرين إثر مؤامرة دبروها ضد الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن سنة ٦٦٢هـ (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٦١ : ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٧) .

(٣) كختا : بلدة قريبة من ملطية (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٣٨٥) .

(٤) فخر الدين إياز : مملوك السلطان ركن الدين قليج أرسلان ولاء على ملطية ، وقُتِل فيها خلال الصراع الذي نشب بين ركن الدين وبين أخيه عز الدين سنة ٦٥٥هـ تقريباً (ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٧) .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٧ .

ويشير ابن العبري إلى أن بايجو نوين ظل يضايق عز الدين لمصلحة أخيه ركن الدين ويطارد نوابه الذين يرسلهم للإشراف على بلاده ، ولم يخلص عز الدين منه حتى شكاه إلى هولاكو الذي استدعى بايجو سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م ليشاركه بالزحف نحو بغداد^(١).

أخذ بايجو يماطل في الانضمام إلى هولاكو والمسير معه لفتح العراق ، وأزمع التأخير ، ولكن رجاله نصحوه بالخروج ، وعند مغادرته آسيا الصغرى اعترض طريقه جمع كبير من الأكراد فاتخذ منهم ذريعة أمام هولاكو ، فجهز فرقة عسكرية لفتح الطرقات أمام بايجو ورجاله ، وتمكنوا من سحق الأكراد قرب أرزنجان ، ودخلوا هذه المدينة ، ثم حاصروا قلعة كماخ^(٢) وأقاموا هناك حتى وصل إليهم بايجو فتوجهوا جميعاً إلى هولاكو الذي كان عندئذٍ يحاصر بغداد^(٣).

ولما بلغ علي بهادر خروج نائب المغول بايجو من حدود آسيا الصغرى متجهاً إلى العراق سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م عاد إلى ملطية ، ولكنه لم يجد قبولاً من أهلها ، حيث منعه من دخول مدينتهم خوفاً من بايجو نوين . وأخذ يحاصرها حتى اشتد الغلاء وساءت أحوال الناس إلى درجة لاتطاق ، ولما ضاقت بهم الحيلة قام بعض العامة وفتحوا أحد أبواب المدينة ليلاً فتمكن علي بهادر ورجاله من اقتحامها ، وبادر بالقبض على فخر الدين إياز نائب السلطان ركن الدين فيها ، وسجنه ، ثم قبض على عدد من أعيان المدينة وقتلهم^(٤).

ولم يستقر علي بهادر في ملطية فقد خشي من عودة بايجو فجأة إليها ،

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول . ص ٢٦٧ .

(٢) كماخ: قلعة بأرض الروم على نهر الفرات الغربي ، تقع على الطريق الممتد من أرضروم حتى أرزنجان في ناحية سيواس (ياقوت: معجم البلدان، (٤/٤٧٩)؛ (لسترنج: بلدان الخلافة، ص ١٥١).

(٣) الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٥٧ - ٥٨) .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٧ .

فخرج منها وقصد صاحبه السلطان عز الدين في قونية^(١). وعندما استولى هولاكو على العراق ، ورجع إلى مقر سلطانه بالقرب من موقان في أذربيجان^(٢) بعث رسله إلى حكام البلاد الإسلامية المجاورة يدعوهم إلى الدخول في طاعته ، وكان من بين هؤلاء الحكام السلطان عز الدين كيكاوس الثاني الذي رحب بطلب هولاكو ، وسار هو وأخوه ركن الدين للقائه ، فأحسن قبولهما ، ورحب بهما^(٣).

وكان هولاكو ممتعضاً من السلطان عز الدين بسبب خلافه المستمر مع بايجو نوين ، فلما فتح هولاكو بغداد خشي عز الدين أن يتفرغ له فانتابه خوف شديد منه ، وبلغ الذل بالسلطان عز الدين أمام إيلخان المغول بأن أخذ يبحث لنفسه عن وسيلة يتقرب بها إليه حتى إنه أمر بصنع حذاء ملكي في غاية الجودة ، ونقش عز الدين صورته عليه ، ثم قدمه هدية لهولاكو في أثناء معاتبته إياه ، وعندما وقع نظر هولاكو على تلك الصورة ، قبّل عز الدين الأرض وقال : «إن أُملي هو أن يُشرفَ الملك رأس هذا العبد بوضع قدمه المباركة عليه»، فأشفق هولاكو عليه وعفا عنه^(٤). وخلال إقامته لدى هولاكو لم يخف السلطان عز الدين استيائه من حالة الضعف التي بلغتها دولته وخضوعها التام للمغول وتمزق وحدة القوى الإسلامية وعدم التفافها لمجابهة خطر المغول فقد عبّر السلطان عز الدين عن ذلك عندما التقى به رسول الملك السعيد نجم الدين ايلغازي صاحب ماردين^(٥) الذي جاء

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٨ .

(٢) أذربيجان : تقع في الجزء الشرقي لمنطقة ما وراء جبال القوقاز (قفقازيا) ، وعاصمتها حالياً مدينة باكو (محمود إسماعيل ، مختصر تاريخ أذربيجان ، ترجمه عن الأذربيجانية رفيق عليوف ورامز سالوف -٠ ط ١ -٠ الإمارات العربية ، دبي ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م ، ص ٨) .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٨ .

(٤) رشيد الدين : جامع التواريخ ، (م ٢ / ج ١ / ٢٠١) .

(٥) ماردين : قلعة في جبل الجزيرة الفراتية (ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٣٩) .

ليطالب بإطلاق سراح ابن الملك السعيد المحتجز لدى هولاء فأنكر هذا الرسول على عز الدين وأخيه ركن الدين مجيئهما إلى هولاء ونصحهما بتدبير الحيلة للهرب فقال عز الدين مخاطباً رسول صاحب ماردين «والله ماخرجت البلاد عن أيدينا إلا بتخاذل بعضنا عن بعض ، فلو كانت الكلمة مجتمعة لم يجر علينا ماجرى»^(١).

ولما توجه هولاء للاستيلاء على بلاد الشام ظل كل من السلطان عز الدين وأخوه ركن الدين في خدمته ، وسارا معه إلى منطقة قريبة من نهر الفرات حتى أذن لهما بالعودة إلى بلادهما^(٢).

وعندما رجع السلطان عز الدين إلى العاصمة السلجوقية أبدى عدم رضاه وانزعاجه من قرار منكوقآن الذي يقضي بتقسيم البلاد بينه وبين أخيه إذ عدّه غير منصف له ويهدد سلامة أراضيه لأنه جاء في مصلحة أخيه ، فأدى ذلك إلى تجديد الخلاف بينهما ورفض السلطان عز الدين هذا القرار ، وعزم السيطرة على بلاد أخيه فصار إلى توقات^(٣) وكانت بيد الأمير معين الدين البروانة^(٤) أحد رجال أخيه

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (١ / ٣٤٣-٣٤٤) .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٧٨ : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٦٥) .

(٣) توقات : مدينة بأرض الروم بين قونية وسيواس (ياقوت : معجم البلدان ، (٢ / ٥٩) . وتقع حالياً شرق العاصمة التركية أنقرة حيث تبعد عنها مسافة ٢٦١ كم . انظر :

Türkiye karayollari Haritasi Road Map Of Turkey.

(٤) معين الدين سليمان بن علي بن حسن بن محمد بن حسن البروانة . والبروانة لقب معناه الحاحب بالفارسية ، هرب والده من بلدة كار من عراق العجم بعد استيلاء المغول عليها ، وقصد آسيا الصغرى ، بدأ حياته معلماً لأولاد السلطان علاء الدين كيقياد الأول ، ثم قلّده الوزارة . ولما توفي سنة ٦٤٢هـ رتبّ ولده معين الدين سليمان مكانه في الوزارة حتى أصبحت إدارة شؤون الدولة السلجوقية في آسيا الصغرى بيده ، قتل سنة ٦٧٦هـ ، (اليونيني : ذيل مرآة الزمان ٠ - ط ٢ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م . (٣ / ٢٦٨ - ٢٦٩) .

ركن الدين وبها أفراد أسرته فحاصرها واستولى عليها ثم سار نحو بقية أملاك أخيه وبسط نفوذه عليها^(١).

ومامن شك أن هذا العمل أزعج أخاه ركن الدين فتوجه هو والبروانة إلى هولاكو وشكا إليه ركن الدين ما فعله أخوه ببلاده ونقضه ماقرره منكوقآن ، فجهز هولاكو معهما جيشا بقيادة «بيان نوين» وخلال مرورهم بأرزنجان أقطع ركن الدين ضياع هذا الإقليم أمراءه ليكسب ودهم ويضمن ولاءهم في الحرب التي يزمع خوضها ضد أخيه ووعدهم بأن يعطيهم تلك الضياع أملاكاً لهم إذا انتزعها من سيطرة أخيه^(٢). وفي فصل الربيع سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م انضم ركن الدين والبروانة إلى جانب المغول بقيادة «بيان نوين» والتقوا بالسلطان عز الدين عند قلعة بلدوز طاغ (جبل النجم) قرب الفرات فحلت الهزيمة بالمغول وحليفهم ركن الدين وعاد المهزموں إلى أرزنجان ، وأرسلوا إلى هولاكو يطلبون منه نجدهم ، فأرسل إليهم مدداً بقيادة «علي شاق نوين» ، وعلى الرغم من وصول المدد فإن ركن الدين رأى تأجيل حربه ضد أخيه حتى ينقضي فصل الشتاء ، وأخذ ينتظر في منتجع «قزان يوك» إلى أن حلَّ فصل الربيع فهاجم ركن الدين البلاد التي سلبها أخوه منه حتى بلغ أقصرا وتمكن من استعادتها ، ووصل بجيشه إلى صحراء قونية^(٣).

وفي غضون ذلك استدعى هولاكو السلطان عز الدين ولكنه رفض إجابة طلبه وجمع أهله وخواصه ، وأخذ معه ذخائره وأمواله ، وهرب بهم سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م إلى القسطنطينية والتجأ إلى الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن

(١) الدودار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٨٩) .

(٢) الدودار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٩٠) .

(٣) الدودار : زبدة الفكرة ، (٩ / ٩٠) .

باليولوجس^(١)، فأحسن إليه الإمبراطور وإلى بقية من كان معه من أمراء السلاجقة^(٢) . وعلى الرغم من رحيل السلطان عز الدين فإن أتباعه بقيادة علي بهادر لم يأسوا، واستمروا في مقاومة أخيه ركن الدين وحلفائه المغول ، فحاصروا قونية . ولكن البروانة بمساندة بعض المغول تصدوا لهم ، وألحقوا الهزيمة بهم ، وقبض البروانة على عدد من رجال السلطان عز الدين وقام بتسليمهم إلى نائب المغول «أليجاك» فقتلهم جميعاً ونجا علي بهادر ولاذ بالهرب إلى القسطنطينية ولحق بصاحبه السلطان عز الدين ، وفي غضون ذلك برز «شاه ملك» بوصفه أحد المعارضين للوجود المغولي في آسيا الصغرى وتحصن بقلعة كداغره^(٣) ، فمنحه السلطان ركن الدين الأمان فنزل من القلعة ، ثم غدر به ، وسلمه إلى المغول فقتلوه^(٤) . وفي أثناء إقامة السلطان عز الدين في البلاط البيزنطي دبر بعض رجاله سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م مؤامرة لقتل الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن والاستيلاء على القسطنطينية فبلغ ذلك الإمبراطور فقبض عليهم واعتقل السلطان عز الدين مع والدته وابنيه غياث الدين مسعود وركن الدين كيومرث وسجنهم في إحدى القلاع، وسمل عيون مدبري هذه المؤامرة^(٥) .

- (١) ميخائيل الثامن باليولوجس ينتمي إلى أسرة أرستقراطية عريقة ، جده الأكبر جورج باليولوجس ، تم تتويجه بعد الإمبراطور حنا الرابع لاسكاريس عام ١٢٥٩م ، وظل في العرش البيزنطي حتى عام ١٢٨٢م (حسني ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٨٥) .
- (٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١١٠) ؛ اليونيني: ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ٦٦ - ٦٧) .
- (٣) قلعة كداغره: لم أتمكن من تحديد موقعها في المصادر الجغرافية التي تيسر لي الاطلاع عليها .
- (٤) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٥٣٧) .
- (٥) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٦١ : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١١٠) : أبو الفداء : المختصر ، (٢ / ٢١٨) ؛ منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٦٠ ، (أ) .

ولما نشب الخلاف بين ملك مغول القبيلة الذهبية بركة خان^(١) والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن جهز بركة خان جيشاً قوامه عشرون ألفاً فانطلق به من بلاد القفجاق وهاجم القسطنطينية عن طريق نهر الدانوب ، فأغاروا عليها من جميع جهاتها ، فراسلهم الإمبراطور في طلب الهدنة فأجابوه مقابل أن يسلم لهم السلطان السلجوقي السابق عز الدين كيكائوس المعتقل مع بعض خواصه وأفراد أسرته في إحدى القلاع البيزنطية ، فجرى تسليمه إلى المغول ، وساروا به إلى الخان بركة في مقر إقامته حينذاك بمدينة صوداق^(٢).

أمضى السلطان عز الدين في بلاد الخان نحو ثماني عشرة سنة ، وكان نقله إلى هذه البلاد وبالأعلى عليه ، فقد أدى ذلك إلى تشتيت شمل أسرته حيث بقي اثنان من أولاده في العاصمة البيزنطية، في حين صحبه ابنه الثالث إلى بلاد المغول، ولقيت والدته حتفها عندما أخبرها أحد الأشخاص من ذوي النيات السيئة أن ابنها السلطان عز الدين قد مات في الطريق ، فألقت بنفسها من القلعة التي كانت معتقلة بها في القسطنطينية . ولما سمع السلطان بما حدث لوالدته وبقاء ابنته وأخته أسيرتين بيد الإمبراطور البيزنطي ساءت حالته وأصيب بمرض الاكتئاب^(٣). عامل الخان بركة السلطان عز الدين معاملة طيبة ، وعرض عليه الخان أن

-
- (١) بركة بن باتو خان بن جوشي بن جنكيزخان (٦٥٢ - ٦٦٥هـ) وهو رابع ملوك دولة مغول بلاد غرب القفجاق الذين يعرفون كذلك بمغول البلاد الشمالية ، وعاصمتهم مدينة سراي . انظر: النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٥٨) ؛ لين بول: الدول الإسلامية ، (٢ / ٥٣٠) .
- (٢) صوداق وتكتب أحياناً بالسين : تقع في ذيل جبل على شط بحر القرم (البحر الأسود) . (أبو الفداء : تقويم البلدان ، ص ٢١٤ - ٢١٥) .
- (٣) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٦١ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٦٧) ؛ منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٦٠ ، (أ) .

يمنحه إقطاعاً جديداً في آسيا الصغرى ، وكان الخان يأمل من وراء مساعدته للسلطان أن يكسب نفوذاً في تلك البلاد ليتسنى له الاتصال بالدولة المملوكية وبهذا يفوّت الفرصة على الدولة الإيلخانية مد نفوذها إلى البحر الأبيض المتوسط والاتصال المباشر مع دول أوروبا الغربية^(١). ولكن الخان بركة مات سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٦م قبل أن يتمكن من الوفاء بوعده للسلطان عز الدين^(٢).

ولما تولى ابن أخيه منكوتمر^(٣) تغيرت معاملته تماماً لعز الدين ، إذ سجنه وابنه غياث الدين مسعود في قرية صغيرة على ساحل البحر الأسود^(٤).

وفي أثناء إقامة السلطان عز الدين في بلاط المغول ، أرسل إليه الوزير السلجوقي آنذاك صاحب فخر الدين علي^(٥) كتاباً وذهباً في محاولة من الوزير لرد الجميل للسلطان عز الدين ، فلما بلغ ذلك الوصي على الدولة السلجوقية معين الدين البروانة استدعى الوزير فخر الدين في شهر رمضان سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م وسأله عن سبب إقدامه على مراسلة السلطان المخلوع ، فأجاب الوزير بأن السلطان عز الدين

(١) شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ص ٩٤ .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٦١ ؛ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٨ ؛

اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٦٧) ؛ الدودار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١٤٨) .

(٣) منكوتمر بن طوغان بن باتوخان بن جوشي خان بن جنكيزخان ، خامس ملوك مغول البلاد

الشمالية (بلاد غرب القفجاق) جلس على كرسي الحكم سنة ٦٦٥هـ خلفاً لعمه بركة خان ،

وحكم إلى وفاته سنة ٦٧٩هـ (النويري : نهاية الأرب ، (٢٧ / ٣٦٢ - ٣٦٣) .

(٤) تامارا رايس : السلاجقة ، ص ٩٢ .

(٥) فخر الدين خواجا علي بك صاحب عطا . تولى منصب أمير العدل في عهد السلطان عز الدين

كيكاوس ، ثم قلده وزارته بعد وفاة صاحب الطغرائي ، توفي في مدينة آق شهر بعد عزله

عن الوزارة مباشرة في شوال سنة ٦٨٧هـ / ١٢٨٨م (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ،

ص ٣٤٣ ، ٣٥٧) ؛ الأقسرائي : مسامرة الأخبار ومسامرة الأخبار : تحقيق عثمان توران ، أنقرة

١٩٤٣م ، ص ١٤٩ ؛ منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٦٢ ، (١) .

كاتبه وشكا إليه حاله وطلب منه مساعدته ، فقبض البروانة على الوزير واعتقله ، وقبض على ولده تاج الدين محمد واعتقلهما معاً في قلعة «عثمان جق»^(١).

وولى البروانة مكانه في الوزارة صهره مجد الدين الحسين^(٢) وكان الابن الأصغر للوزير المعزول صاحب فخر الدين قد نجا بنفسه حينما جرى القبض على أبيه ، وقصد الإيلخان آباقا الذي خلف أباه هولاكو على عرش الدولة الإيلخانية في فارس سنة ٦٦٣هـ / ١٢٦٥م والتجأ إليه ، وأخذ يقنعه ببراءة أبيه مما نسب إليه ، فأمر هذا الإيلخان بالإفراج عنه وعن أملاكه ، وبقي صاحب فخر الدين بعد الإفراج عنه ملازماً بيته نحو ثلاث سنوات^(٣).

عاد صاحب فخر الدين إلى الوزارة السلجوقية سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٤م إثر وساطة قام بها نائب المغول في آسيا الصغرى «تقونوين» لدى الإيلخان الذي أمر - كذلك - بأن يرد إلى ولديه تاج الدين ونصير الدين ماكان لهما من إقطاع مقابل أن يبذل الوزير في كل سنة ألفي بالشت^(٤) وسبعمئة فرس ، فأجاب الوزير إلى ذلك وخُلع عليه وعلى ولديه^(٥).

(١) عثمان جق : مركز يقع على نهر قزل أيرماق في ولاية سيواس على بعد عشر ساعات من أماسيا (علي جواد : ممالك عثمانية ، قسم أول ، ص ٥٢٧) .

(٢) مجد الدين الحسين ، هكذا ورد اسمه عند ابن شداد واليوني (تاريخ الملك الظاهر ، ص ٦٢ : ذيل مرآة الزمان ، ٨ / ٣) . وعند ابن البيبي «مجد الدين محمد بن الحسن المستوفي الأرزنجاني» ، كان صهرأ لمعين الدين البروانة ، وأتابكاً للسلطان السلجوقي غياث الدين كيخسرو (أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٧٣) : منجم باشي : جامع الدول ، ورقة ٣٦٠ ، (ب) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٦٢ - ٦٣ : اليوني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ٧-٨) .

(٤) ويقال بالشت أيضاً ، وهي نقود مغولية كانت متداولة في القرن الثالث عشر الميلادي (ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٣ ، حاشية (١) .

(٥) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٢ : اليوني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ١١٢) .

ونلاحظ أن ثقة الإيلخان بولدي الوزير زادت إلى حد كبير لدرجة أنه فُوّض إليهما قيادة قوات «لاديق» و «خوناس»^(١) و«قرا حصار»^(٢).

ويتبين لنا مما سبق أن تعيين أصحاب المناصب داخل الدولة السلجوقية أصبح لا يتم إلا عن طريق إيلخانات المغول أنفسهم ، ووفقاً لرغباتهم .

أعطى نقل السلطان عز الدين إلى بلاد المغول واعتقاله هناك الفرصة لأخيه ركن الدين للاستيلاء على البلاد السلجوقية بآسيا الصغرى ، ماعدا الثغور والجبال والسواحل التي بأيدي أبناء قرامان^(٣) فإنهم امتنعوا عن طاعته ، وأرسلوا إلى هولاءكو يبذلون له الطاعة وحمل الأتاوة مقابل تقليدهم السلطة في تلك البلاد ، وطلبوا منه أن يعين له نائباً يقيم عندهم فأرسل إليهم قائداً يسمى «قلشار» ، وكتب لهم فرماناً^(٤) بالبلاد التي مازالت تحت سيطرتهم^(٥).

مارس ركن الدين إدارة شؤون الدولة السلجوقية بصفته تابعاً وألعبه بيد المغول حتى سلطته المحدودة هذه لم تكن رهن إشارته ، بل كانت بيد رئيس وزرائه

(١) خوناس : واسمها الحالي (خنس) مدينة قريبة من أرزنجان وأرزن الروم ومنازجرد شرق آسيا الصغرى (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٠) .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٧٣-٣٧٤ . وقرا حصار : قلعة تقع شرق مدينة قونية، وهي إحدى القلاع التابعة لها (لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨١) .

(٣) أبناء قرامان : كان يقال لجدهم نورا صوفي ، أصله أرمني فأسلم ، كان ولده قرامان مقرباً من السلطان السلجوقي علاء الدين كيقيباذ ، فولاه إمرة بلاد لارنده ، ولما توفي هذا السلطان استولى قرامان على جميع بلاده ، وأسس سنة ٦٥٤هـ إمارة حملت اسمه ، وحكمت حتى استولى العثمانيون عليها سنة ٨٨٨هـ (القرماني : أخبار الدول ، (٥١١/٢) .

(٤) فرمان : مصطلح تركي معناه الأمر الملكي (حسان حلاق وعباس الصباغ ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية - ط ١ - بيروت ١٩٩٩م ، ص ١٦٣ .

(٥) الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩٠ - ٩١) .

القوي معين الدين البروانة^(١) الذي استقل بالتدبير واستفحل أمره ولقي تشجيعاً من سادته المغول حتى إنهم عهدوا إليه بالإضافة إلى ذلك وظيفة القاضي أو الحاكم الأكبر ، وقد جرّ هذا التعيين غضب كبار الأمراء المحليين عليه^(٢).

وكان البروانة قد حاز على ثقة الإيلخان هولاكو عندما اجتمع به على أسوار حلب ، فاتخذته سفيراً له عند السلطان ركن الدين وبفضل هذه الثقة تحكم بالسلطان وتفرد بالحكم حتى أصبح يجمع بين وزارة السلطان ونيابة إيلخان مغول فارس في بلاد آسيا الصغرى^(٣).

وعلى كل حال فقد سعى البروانة إلى الوشاية بالسلطان ركن الدين عند آباقا حيث اتهمه بأنه يسعى للتخلص من نفوذ المغول ويعتزم مكاتبة سلطان المماليك في مصر ، واقترح التخلص منه ، فكان جوابه له «إذا ثبت ذلك عند نوابي المغول فافعل ماتختار»^(٤).

بعث ركن الدين يستدعي البروانة فكتب إليه الوزير صاحب فخر الدين يحذره من القدوم إليه، فقصد البروانة أعوانه من أمراء المغول في آسيا الصغرى، وقدم لهم هدايا ثمينة، وأبلغهم أن السلطان ركن الدين استدعاه ليقبله، ثم يخلع طاعتهم وينضم إلى سلطان المماليك في مصر، فرحل البروانة بصحبة أمراء المغول إلى مدينة أقصرا وأرسلوا إلى ركن الدين في مقر إقامته بقونية يستدعونه، فلما وصل إليهم دسوا له السم في الشراب ثم خنقوه فمات متأثراً بذلك سنة ٦٦٤هـ/ ١٢٦٥م، وأقام البروانة مكانه ولده غياث الدين كيخسرو على العرش ، ولما كان غياث الدين

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ٤٠٤) : تامارا رايس : السلاجقة ، ص ٩٢ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ٤٠٤) : تامارا رايس : السلاجقة ، ص ٩٣ .

(٣) القزاز : الحياة السياسية في العراق ، ص ٣٥٢ .

(٤) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ٤٠٤) .

لا يزال طفلاً فقد تولى البروانة الوصاية عليه بتأييد من المغول . وأصبح بيده الحل والعقد وتصريف شؤون الحكم^(١).

وكان المغول قد استفادوا من قوة نفوذهم في آسيا الصغرى بتقديم العون العسكري للصليبيين في أثناء الحروب التي جرت بينهم وبين المماليك في بلاد الشام ، إذ تشير بعض الروايات إلى أن أباقا بعد أن خلف أباه في الحكم أمد الصليبيين بعشرة آلاف فارس مغولي كانوا في آسيا الصغرى لمساعدتهم على استرداد أنطاكية من السلطان الظاهر بيبرس^(٢) بعد استيلائه عليها منهم سنة ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م . ولكن هذا المد لم يكن له أثر كبير؛ لأن المغول بعد أن خربوا بعض المناطق في بلاد الشام بمعونة الصليبيين عادوا من حيث أتوا وتتبعتهم جيوش الظاهر بيبرس وألحقت بهم خسائر فادحة^(٣).
وقد حاول قائد جيش المغول في آسيا الصغرى «سماغار بهادر نوين»^(٤) أن يكون له دور في تقوية العلاقات السياسية بين الدولتين الإيلخانية والمملوكية ،

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٦٧-٣٦٨ ؛ وساق اليوناني وأبو الفداء خبر مقتل ركن الدين إلا أنهما ذكرا بأن وفاته كانت سنة ٦٦٦هـ ولكننا نرجح رواية ابن البيبي لأنه كان معاصراً له . اليوناني : ذيل مرآة الزمان . (٢ / ٤٠٥-٤٠٦) ؛ أبو الفداء : المختصر ، (٤ / ٥) .
(٢) السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس بن عبد الله ، تولى السلطنة المملوكية سنة ٦٥٨هـ ، وكانت وفاته سنة ٦٧٦هـ (النويري : نهاية الأرب ، (٣٠ / ٣٦٥) ؛ ابن تغري بردي : المنهل الصافي : تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، مصر . ١٩٨٦م ، (٣ / ٤٤٧) .

(٣) مصطفى طه بدر : مغول إيران بين المسيحية والإسلام ، دار الفكر العربي ، (من دون تاريخ ومكان الطبع) ، ص ٧٧ ؛ محمود عمران ، المغول وأوروبا ، دار المعرفة الجامعية ، (من دون تاريخ ومكان الطبع) ، ص ٧٢ .

(٤) سماغار بهادر نوين : أحد أمراء المغول بآسيا الصغرى ، ذكره ابن البيبي بأنه حاكم بلاد الروم وحافظ ثغورها (أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤١٣) . ولقب «النُوَيْنُ» من ألقاب كُفَّال الممالك بالممالك القانية كُتَّاب السلطنة ، وأمراء الأُلُوس ، والوزير ونحوهم . (القلقشندي : صبح الأعشى ، (٦ / ٣٣) .

والعمل على إزالة حالة التوتر والقلق السائدة بينهما فعرض سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م على السلطان الظاهر بيبرس رغبته في التوسط بينه وبين الإيلخان آباقا ، ولقيت هذه الفكرة ترحيباً منه ، فبعث سفارة إلى آسيا الصغرى توجهت إلى قونية والتقت بقائد المغول الذي أمر البروانة بأن يرافق أعضاء السفارة المملوكية إلى بلاط الإيلخان، ولما وصلوا جرت المفاوضات بينهما ، ولكن هذه السفارة عادت من بلاط الخان إلى دمشق في صفر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٢م دون أن تتوصل معه إلى اتفاق^(١).

ويبدو أن معين الدين بروانة انتهز فرصة وجوده في بلاط آباقا بصحبة السفارة المملوكية ، فسعى إلى الوشاية بنائبي المغول آنذاك بآسيا الصغرى الأميرين «سماغار بهادر وأجاي»^(٢) ، فعقد البروانة اجتماعاً سرياً مع الإيلخان وأخبره بأن نفوذه في تلك البلاد بات في خطر ، وأن أخاه أجاي يرغب في الاستقلال بها بتأييد من سلطان المماليك في مصر^(٣).

ولما عاد البروانة إلى آسيا الصغرى رأى من أجاي إغراضاً مفرضاً فوق ماكان يعهده منه فاضطر إلى مكاتبة السلطان المملوكي الظاهر سراً ، وطلب منه أن يبعث إليه عسكرياً يقيم في هذه البلاد من أجل حماية السلطنة السلجوقية ، ولكي يستعين بهم على قتال المغول وإجلالهم من تلك البلاد^(٤).

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٨ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٣٤) : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١٢٣-١٢٤) .

(٢) أجاي بن هولوكوخان ، أسند إليه أخوه الإيلخان آباقا خلال فترة حكمه نيابة المغول في آسيا الصغرى ، توفي أجاي سنة ٦٨١هـ بعد وفاة أخيه آباقا بيومين (النوري : نهاية الأرب ، ٢٧/٣٩٥ ، ٤٠١) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٨ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٣٤) .

(٤) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٩ : العسقلاني : الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور : تحقيق عمر عبد السلام تدمري - ط ١ - بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ص ٣٥ .

وافق الظاهر على طلب البروانة ولكنه اشترط عليه أن يحدد له أولاً البلاد التي ستكون من نصيبه إذا دخل بجيشه إلى آسيا الصغرى ، أو يمنحه بعض ما يستخرج من الأوقاف والصدقات والأموال التي تخصه في تلك البلاد ، وتعهد الظاهر له بردها إليه إذا تمكن من هزيمة المغول ، وقد أدى حلول فصل الشتاء آنذاك وتراكم الثلوج على الطرق المؤدية إلى آسيا الصغرى إلى تأجيل قيام الحملة المملوكية في ذلك الوقت ، والواقع أن السلطان الظاهر كان متردداً في القيام بهذه الحملة ؛ لأنه لم يعد يأمن جانب البروانة ، ويخشى من إقدامه على خيانتة^(١).

ولما عاد رسول البروانة من البلاط المملوكي سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م وجد أن آباقا قد استدعى كلاً من أخيه أجاي وسماغار ، وعيّن مكانهما «تقونين»^(٢) نائباً عنه في آسيا الصغرى ، فوصل إليها وكان بصحبته أربعون رجلاً من خواصه ، فحضر إلى مجلسه كبار رجال الدولة السلجوقية وفي مقدمتهم البروانة وقدموا له الهدايا والتحف ، وطاف «تقونين» في أرجاء البلاد واستخرج منها أموالاً طائلة ، وحملها إلى الإيلخان ، ولما رأى البروانة قوة هذا النائب المغولي رضخ له وقبل العمل تحت إدارته^(٣) وبذلك صلحت حال البروانة ، وزالت الأسباب التي دعت به إلى طلب النجدة من السلطان الظاهر فصار لم يعد بحاجة إلى قدومه إليه^(٤).

وفي أواخر سنة ٦٧٣هـ / ١٢٧٥م استدعى آباقا كلاً من تقونين والسلطان

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٩ .

(٢) تقونين كان من أعيان الدولة الإيلخانية بفارس ، تولى نيابة آسيا الصغرى في عهد آباقا . ولقي مصرعه في معركة أبلستين التي جرت سنة ٦٧٥هـ بين المغول والمماليك (الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١٣٥) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٠٨ .

(٤) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ٧٩ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٢٤) .

غياث الدين كيخسرو والبروانة ، وانتَهز هذا الأمير كعادته الفرصة بأن رتبَّ لعقد أول مصاهرة بين سلاجقة آسيا الصغرى والمغول حيث اصطحب معه إلى أذربيجان الأميرة سلجوقي خاتون أخت السلطان غياث الدين للزواج من الإيلخان ، وكان هدفه من هذه المصاهرة واضحاً فقد أراد أن يتقرب بها إلى آباقا من ناحية ، ولتقوية الصلات بين السلاجقة والدولة الإيلخانية ببلاد فارس من ناحية أخرى^(١) .

ولما وصلوا إلى أرزن الروم قابلوا في طريقهم الأمير أجاي عائداً من عند أخيه إلى آسيا الصغرى ، وقد ازداد نفوذه وقويت شوكته حيث اعتدى على كبار أعيان الدولة السلجوقية ومنهم على سبيل المثال البروانة وضياء الدين بن الخطير^(٢) وغيرهما ، فتضامن معهم الوالي المغولي تقونوين ، واتفقوا على أن يشكو الأمير أجاي إلى أخيه الإيلخان ، فلما اطلع أجاي على ذلك ، بعث إلى أخيه رسولاً يخبره بأن تقونوين والبروانة اتفقا على نهب أموال تلك البلاد ، وأنهما سعيًا إلى الوشاية به لإخراجه منها حتى يستبدا بها ، فحرص الإيلخان على طمأننة أخيه قائلاً له : «من هو البروانة حتى يُسمَعَ كلامه فيك ، أَمَرُهُ إليك إن شئت أن تقتله وإن شئت أن تبقيه»^(٣) . وكان البروانة لما بلغه أن أجاي بعث في أمره رسولاً إلى أخيه الإيلخان ، أخذ ينتظر عودته ، فلما عاد استدرجه إلى داره ، وسرق منه الكتاب ، فلما وقف على مضمونه أوجس في نفسه خيفة من أجاي ، فأخذ يلاطفه بأعذار قبلها منه ، وبعث

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٧٨ ؛ ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٥٣ .

(٢) ضياء الدين محمود بن الخطير من أمراء سلاجقة آسيا الصغرى الذين مالوا إلى السلطان الظاهر ، فقربه إليه وأكرمه ، قتل في معركة أبلستين - التي سوف يأتي الحديث عنها - وذلك سنة ٦٧٥هـ . (ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٣ ، حاشية (٣) : ولفظ «الخطير»

لقب من ألقاب الملوك وتعني الكبير الجليل القدر (القلقشندي : صبح الأعشى ، ٨١/٦) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٣ . اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٢ - ١١٣) .

إليه بهدية ثمينة ، ولما أمن البروانة جانبه . طلب من أعيان الدولة السلجوقية ومن القضاة والفقهاء وغيرهم بأن يتضامنوا معه ، ويكتبوا إلى الإيلخان بأن أخاه أجاي قد عزم على التخلص منه ومن نائبه «تقونين» وتسليم البلاد للدولة المملوكية^(١) .

ويبدو أن الإيلخان ضاق ذرعاً باستمرار الصراع على النفوذ داخل آسيا الصغرى بين أمراء المغول وأعيان الدولة السلجوقية ، فاستدعى كلاً من نائبه تقونين والأمير البروانة بالإضافة إلى عدد من كبار رجال البلاط السلجوقي ، وأخذ هؤلاء معهم حشداً من الناس ممن كان أخوه أجاي قد ظلمهم ، ولما مثلوا بين يدي الإيلخان في شهر ربيع الأول سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م شهدوا أمامه على قبح سيرة أخيه وقسوته على الناس ، فلم يعد الإيلخان يتحمل تصرفات أخيه فاقتنع بكلامهم ، فاستدعاه ، وألزمه بالإقامة عنده ، وأمر بقتل سبعة من كبار مستشاريه^(٢) .

ولما عاد البروانة وتقونين إلى آسيا الصغرى أمرهم الإيلخان بأن يقوموا بحملة على قلعة البيرة^(٣) فزحفوا إليها بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل ، نصفه من المغول بقيادة تابشي وأتباي نوين^(٤) ، والنصف الآخر من السلاجقة بقيادة البروانة ، فلما وصلوا إليها في جمادى الآخرة سنة ٦٧٤هـ / ١٢٧٦م^(٥) تذكّر البروانة ذلك الاتفاق الذي سبق أن أبرمه مع السلطان الظاهر عندما وعده بتمكينه من الاستيلاء على بعض بلاد آسيا الصغرى مقابل أن يعمل سويماً على استئصال شأفة المغول

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٣ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٣) .

(٢) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٤ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٤) .

(٣) البيرة : قلعة حصينة قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية (ياقوت : معجم البلدان ، (٥٢٦ / ١) .

(٤) لم نقف لهما على ترجمة في المصادر التي تحت أيدينا . والأخير ورد اسمه في اليونيني

(أقتاي نوين) . (ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٤ - ١١٦) .

(٥) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٥ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٤) .

منها، وكان البروانة يطمح بأن يقوم السلطان الظاهر حال استيلائه على تلك البلاد بتصيبه على عرش الدولة السلجوقية بحكم وصايته على سلطانها غياث الدين كيخسرو، فسولت له نفسه أن يغدر بالمغول، فبدأ بتنفيذ خطته، واقترح على المغول أن يبعثوا بأربعمائة فارس للانتشار في أطراف الشام بغرض التجسس على أخبار قوات المماليك هناك، وكان البروانة يقصد من وراء ذلك أن يقع هؤلاء الفرسان بيد السلطان الظاهر فيقتلهم، وحينئذٍ سوف يضطر إلى التقدم بقواته للدفاع عن البيرة، فينتهز هذه الفرصة للانضمام إليه بمن معه من أفراد الجيش السلجوقي، ثم يقوموا سوياً بالهجوم على معسكر المغول.

ولكن خطة البروانة أخفقت إخفاقاً ذريعاً بسبب أن بعض فرسان المغول لما عبروا نهر الفرات متجهين إلى الشام، قبضوا على ثلاثة من رجال السلطان الظاهر يحملون منه كتاباً إلى البروانة يتضمن موافقته على توحيد صفوفهما والعمل سوياً من أجل تقويض نفوذ المغول، فقبضوا عليهم وحملوهم إلى قائد المغول "أتباي نوين"، فعزم على قتل من في عسكره من المسلمين، ولكن أحد رجاله أشار عليه بأن يؤجل القيام بذلك حتى يرحل الجيش عن المكان الذي هم فيه خشية أن يستجير هؤلاء المسلمون بأهل البيرة فيفتحوا لهم مدينتهم ويتفقوا ضدهم^(١).

فَبَلَّ قائد المغول هذه المشورة، وأخذ الكتاب الذي كان يحمله رسل الظاهر إلى البروانة وأرسله إلى آباقا، فلما عُرِضَ الرسل على البروانة أنكر ماجاءوا به وقال إن هذه مكيدة دبَّرها عدوه ملك الأرمن صاحب سيس، وبادر بقتلهم، ولقد رجع المغول عن البيرة دون أن يحققوا ما يريدون بعد أن استبسل أهلها في الذود عن مدينتهم^(٢).

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٦ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٥) .

(٢) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٦ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١١٥) .

ولما رجع الجيش المغولي - السلجوقي إلى آسيا الصغرى خاف كبار أعيان الدولة السلجوقية بقيادة البروانة على أنفسهم من القائد المغولي أتباي ، فانفصلوا عنه ، واتجهوا ناحية قيصرية ، فلما وصلوها تيقنوا أن لا مقام لهم بها في ظل قوة نفوذ المغول ، فاجتمعوا برئاسة البروانة ، واقترح بعضهم منابذة المغول ، ولكنهم لم يتفقوا على ذلك حيث أيد بعضهم ذلك ، بينما رفضه آخرون ، وتعاهد مؤيدو هذا الرأي بقيادة البروانة على الانضمام إلى السلطان الظاهر ، وأرسل إليه يطلب منه مدداً يستعين به على منائيه ، وأن يبقى السلطان السلجوقي غياث الدين على رأس سلطنته ، والتزم البروانة أن يحمل للسلطان الظاهر ما كان يحمل إلى المغول ^(١) .

معركة أبلستين :

لقد ضاق بعض رجال البلاط السلجوقي ذرعاً بالأمرير معين الدين البروانة بسبب تأرجح ولائه للمغول تارة وللمماليك تارة أخرى ، فضلاً عن استبداده بإدارة شؤون دولتهم باعتبار أنه كان وصياً على السلطان غياث الدين ، فغادر هؤلاء قيصرية ، وكان عددهم نحو اثني عشر شخصاً ، وقصدوا بلاد الشام ، والتقوا بالسلطان الظاهر في حلب ، فأحسن إليهم ، واستجدوا به على البروانة ^(٢) .

ومازال كبار رجال الدولة السلجوقية بالسلطان الظاهر يحثونه على السير إلى بلادهم حتى قووا عزمه على ذلك ^(٣) وبخاصة أنه كان آنذاك يراقب مايجري داخل آسيا الصغرى عن كثب بحكم موقعها الجغرافي من ناحية وبسبب سياسته المعادية للمغول من ناحية أخرى ^(٤) .

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٢٨ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٢ / ١١٦ - ١١٧) .

(٢) أبو الفداء : المختصر ، (٩ / ٤) : النويري : نهاية الأرب : تحقيق محمد عبد الهادي ، مصر ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، (٣٠ / ٢٢٣) : رشيد الدين : جامع التواريخ ، (٢ / ٢ / ٦٢) .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٧ : رشيد الدين : جامع التواريخ ، (٢ / ٢ / ٦٢) .

(٤) كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، ص ٥٨ .

وخلال قيام الظاهر بإعداد جيشه في شهر صفر سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م للقيام بحملته على آسيا الصغرى بلغه أن شرف الدين بن الخطير^(١) تمرد على المغول وقام بتفريق عساكر السلاجقة ، وأذن لهم في نهب ممتلكات المغول ، وقتل من يقع بأيديهم منهم ، وفي غضون ذلك تلقى الظاهر كتاباً من الأمير محمد بن قرامان^(٢) أحد أمراء التركمان بآسيا الصغرى يخبره بخروجه عن طاعة المغول ، واستيلائه على بعض السواحل الخاضعة لهم في تلك البلاد^(٣) .

خرج الظاهر بجيشه واجتاز بلاد الشام ، وشعر ملك الأرمن بالخطر الذي بات يهدده من جراء تحرك الجيش المملوكي بالقرب من أراضيه ، فكاتب المغول وأخبرهم بزحف الجيش المملوكي نحو آسيا الصغرى^(٤) .

وأما الأمير معين الدين البروانة المتغلب على أمور السلاجقة آنذاك فإنه حينما تبين له خروج بعض أمراء السلاجقة عليه ولجوؤهم إلى السلطان المملوكي ، اتفق مع اثنين من كبار ولاية المغول وهما «تتاون»^(٥) و«تقونون» على استجواب

(١) شرف الدين مسعود بن الخطير الهريكي أخو الأمير ضياء الدين - الذي سبق ذكره - قُتل شرف الدين قبل وفاة أخيه بتدبير من أمراء المغول والبروانة في ربيع الآخر سنة ٦٧٥هـ (ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٦٤) .

(٢) شمس الدين محمد بك بن كريم الدين قرمان بن نورا صوفي ، ثاني أمراء بني قرمان ، خلف أباه في الحكم سنة ٦٦٠هـ وكانت وفاته سنة ٦٧٦هـ حيث قُتل في معركة (سهل موت) على يد السلاجقة والمغول (ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٤٠٣ - ٤٠٤) ؛ لين بول : الدول الإسلامية ، (٢ / ٤٣٦) ؛ زامباور : معجم الأنساب ، ص ٢٣٦) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٥٨-١٥٩ ؛ اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١٦٧) .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٧ .

(٥) تتاون : (ذكر ابن البيبي اسمه (تداون ، وتودون بهادر) كان من أعيان الدولة الإيلخانية ، لقي مصرعه مع عدد من قواد المغول في معركة أبلستين التي جرت سنة ٦٧٥هـ بين المغول والمماليك (أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٦) ؛ (الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١٣٥) .

السلطان السلجوقي غياث الدين لمعرفة من يقف وراء تحريضه على خلع طاعة الإيلخان ، والانقياد إلى طاعة سلطان المماليك ، فكان جوابه «أنا صبي وما علمت الصواب حتى أتبعه ، ولما رأيت أكابر دولتي قد فعلوا ذلك خفت أن يسلموني إذا لم أوقفهم»^(١).

وعندئذٍ أوعز والي المغول «تتاون» إلى البروانة بأن يحضر إليه كبار رجال الدولة السلجوقية الذين دعوا السلطان غياث الدين إلى التمرد على المغول وجاھروا بولائهم للمماليك ، فلما اعترفوا بذلك جرى التكتيل بهم في ربيع الآخر سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م ، وكان من بينهم شرف الدين بن الخطير الذي لاذ بالفرار مع نفر من جنده إلى إحدى القلاع ، ولكن محافظ هذه القلعة سرعان ما قبض عليه وسلمه إلى المغول وقاموا بقتله^(٢) فمزقوا جثته حيث بعثوا برأسه إلى قونية ، وإحدى يديه إلى أنقرة ، والأخرى إلى أرزنجان ، وفرقوا أعضائه في سائر بلاد آسيا الصغرى ليكون عبرة لغيره ممن قد تراوده نفسه بإعلان العصيان على ولاة المغول^(٣).

ولما تخلص البروانة من هذا الأمير ، عزم كذلك على الإطاحة بالأمير مرحسيا النصراني^(٤) الذي كان يقيم بأرزنجان ويُعدّ من أخطر منافسيه ، ولاسيما أن هذا الأمير النصراني كان يحظى بثقة الإيلخان وكلمته مسموعة لديه ، وصار يحرضه على قتال المسلمين ، كما كان يؤلب ملوك النصارى المتاخمين لبلاد آسيا

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٦٢ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١٧١) .

(٢) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٢٨٤ .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٦٤ : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ١٧٢) .

(٤) القسيس مرحسيا سرقيس النصراني ، أنابه هولاكوخان عنه في جزيرة ابن عمر سنة ٦٦٠هـ . قُتِلَ بأمر من البروانة سنة ٦٧٥هـ (ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص ١٦٧) : اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٢٢٩) .

الصغرى على موافقة المغول وممالاتهم عند قصدهم بلاد المسلمين ، فكتب البروانة إلى نائب أرزنجان قطب الدين محمود ^(١) يأمره بقتل مرحسيا ، فقتله واتبعه بقتل أهله وحاشيته في هذه المدينة ^(٢) .

ويبدو أن البروانة لما أزاح من طريقه كبار منافسيه نزع إلى طمأنة المغول ، وحاول أن يبرهن على قوة إخلاصه لهم ، فعمد إلى تنفيذ مزاعم ملك الأرمن بأن السلطان المملوكي الظاهر ينوي مهاجمة المغول ، وانضم بجيشه السلجوقي إلى المغول ، وبسبب تحايل البروانة على المغول فقد أهمل نائبهم تحذير ملك الأرمن من الهجوم المملوكي الوشيك . ويعزو أحد المؤرخين إلى أن البروانة فعل ذلك لسببين : أحدهما لأنه كان يفضل قدوم الجيش المملوكي إلى آسيا الصغرى لأن السلطان الظاهر وعده بأن يمنحه بعض البلاد في حال انتصاره على المغول ، أما السبب الآخر فلأنه كان يبغض ملك الأرمن ويسعى إلى تزييف أقواله لدى المغول ^(٣) .

رأى السلطان الظاهر أن السلاجقة والمغول قد حشدوا عند صحراء هوني قرب مدينة أبلستين جيشاً كبيراً للقائه بقيادة كل من «تتاون» و «توقونوين» و«البروانة» وقبيل نشوب القتال بينهما ارتاب قواد المغول من البروانة فقاموا بعزل عسكريهم عن الجيش السلجوقي الذي كان يقوده البروانة وذلك خوفاً من خيانتهم لهم، فهاجمهم جيش الظاهر على حين غرة بنواحي أبلستين يوم الجمعة العاشر من ذي القعدة سنة

(١) قطب الدين محمود بن الحسين الرومي أخو الأتابك مجد الدين صهر البروانة ، أحد كبار أمراء الروم في الدولة السلجوقية ، كان نائباً عن أخيه مجد الدين بولاية أرزنجان ، أسره المماليك في معركة أبلستين سنة ٦٧٥هـ (ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٧٣) :

(اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (٣ / ٢٢٩) .

(٢) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٦٩ .

(٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٨٧ .

٦٧٥هـ / ١٢٧٧م وحلت الهزيمة بالمغول وسقط في ميدان القتال عدد كبير من الجانبين بين قتل وأسير ، وكان من بين قتلى المغول القائدان «تتاو وتوقونين»^(١) . كما أُسِرَ من المغول زيرك صهر آباقا ، وسرطق أحد أقربائه وغيرهم ، وأُسِرَ من العسكر السلجوقي مهذب الدين بن البروانة^(٢) وغيره ، ووقع كذلك في الأسر عدد من أمراء الجيش المملوكي^(٣) .

ولما تبين للبروانة هزيمة المغول ولى هارباً ، فانهزم أصحابه ، وسار إلى قيصرية فلما وصلها في ذي الحجة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م اجتمع بالسلطان غياث الدين كيخسرو وجماعة من الأمراء المقيمين بها وأشار عليهم بالخروج منها فإن المغول المنهزمين إذا عادوا إلى قيصرية سوف يقتلون كل من يجده فيها من المسلمين انتقاماً من هزيمتهم في معركة أبلستين ، ثم أخذ البروانة كلاً من زوجته كرجي خاتون^(٤) والسلطان غياث الدين ، وجماعة من أعيان البلد وسار بهم إلى توقات^(٥) .

(١) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٨٦ : أبو الفداء : المختصر ، (٩ / ٤) : المقرئزي : السلوك ، (٦٢٩/٢ / ١) .

(٢) مهذب الدين علي بن معين الدين سليمان البروانة ، كان من ضمن أمراء الجيش السلجوقي الذين أسروا في معركة أبلستين أمام المماليك سنة ٦٧٥هـ (ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٧٣) .

(٣) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٧٣ : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر : تحقيق عبد العزيز الخويطر - ط ١ - الرياض ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٤٦١-٤٦٢ : الدوادار : زبدة الفكرة ، (٩ / ١٣٥) .

(٤) كرجي خاتون بنت غياث الدين صاحب أرزن الروم ، كانت والدتها ملكة الكرج (ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٦٣) .

(٥) ابن البيبي : أخبار سلاجقة الروم ، ص ٣٨٦ : ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، ص ١٧٤ : ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر ، ص ٤٦٣ .